داعش في الرواية العراقية
دراسة في الثيمات والتقنيات (نماذج مختارة)

ISIS in the Iraqi novel

a study of themes and techniques

"Selected models"

أ. م. د. سولاف مصحب مهدي

جامعة النهرين - كلية العلوم السياسية

Assistant Professor

Sulaf Mushab Mahdi

Al-Nahrain University - College of Political Science

المستخلص

حاولت الرواية العراقية تعرية إرهاب تنظيم داعش والكشف عما ارتكبه من جرائم وعنف دموي وانتهاك لحقوق الانسان ، وكان ذلك عبر التركيز على ثيمات وموضوعات معينة شكلت خطاً مشتركاً لكل الروايات التي كتبت عن (داعش) ، وتهدف الدراسة إلى استقراء تلك الثيمات الأساسية والفرعية للروايات عينة الدراسة ، وأهم هذه الثيمات هي : ثيمة الإرهاب والعنف ، وثيمة المرأة ، وثيمة الهوية الثقافية والحضارية والدينية. والكشف عن البنية التشكيلية والعناصر الفنية (التقنيات الروائية) التي وظفها الكاتب لتقديم تلك الثيمات ومقاربتها موضوعاتياً .

الكلمات المفتاحية: ثيمة، العنف، المرأة، هوية، داعش الإرهابي، تقنية، غرائبية، الرواية العراقية.

Abstract :

The Iraqi novel attempted to expose the terrorism of ISIS and reveal the crimes, bloody violence, and violation of human rights it committed. This was done by focusing on specific themes and topics that formed a common theme for all the novels written about ISIS. The study aims to extrapolate those basic and subsidiary themes of the novels sampled by the study. The most important of these themes are: the theme of terrorism and violence, the theme of women, and the theme of cultural, civilizational and religious identity. And revealing the plastic structure and artistic elements (narrative techniques) that the writer employed to present these themes and approach them thematically.

Keywords: theme, violence, women, identity, ISIS terrorist, technology, exoticism, the Iraqi novel

* * *

المقدمة

تأثر المشهد الروائي العراقي بعد عام 2003 بالأحداث السياسية والصراعات ومشاهد العنف والاقتتال الطائفي ، ومن ثم دخول العراق في متاهة مظلمة ودموية تمثلت بسقوط ثلاث محافظات بيد تنظيم (داعش) الإرهابي ، إذ انبرى الروائيون العراقيون للكتابة عن ارهاب (داعش) دون أن يأخذوا زمناً للتأمل والذهول وإنما كانت نتاجاتهم بحجم الكارثة والموت الذي يسري بكل مفاصل الحياة، فكان متنهم الحكائي يعكس واقع الموت ومأساة شعب بأكمله .

إن مرارة الأحداث الأليمة التي عاشها الشعب العراقي في تلك الحقبة من قتل وسبي ولّدت شعوراً ذاتيا لدى الباحثة للبحث والقراءة عن هذا الموضوع ومتابعة ما كُتِب عن هذا التنظيم وجرائمه، ومحاولة الاجابة عن السؤال : هل كان للأدب كلمته المقاومة ؟ فللسرد تحديداً سلطته ومقدرته على المواجهة والرفض وكشف المسكوت عنه . لنجد أن ثمة روايات تصدت لهذا التنظيم الارهابي عبر اتخاذها لما ارتكبه من جرائم ووحشية لا تمت للإنسانية بأي صلة محوراً لمتنها الحكائي ، فقد تمكن أغلب كتاب الروايات بتدوين الوقائع المأساوية والكوارث الانسانية مباشرة من الضحايا أنفسهم عن طريق زيارة المخيمات والاستماع لهم وتدوين ما مرَّ بهم من جرائم وعنف واغتصاب وبعض الكتاب قد عاشها شخصياً ، الأمر الذي جعلهم يمسكون بخيوط الرواية الحقيقية لتندمج وتضيع في خيوط التخييل والمحتمل لتصبح نسيجاً سردياً موجعاً لكنه أكثر جمالاً وأقل قبحاً من الواقع .

وبعد اطلاع الباحثة على مجموعة لابأس بها من الروايات ، تم اختيار ست روايات لتكون عينة للبحث و أنموذجاً للروايات التي اتخذت من تنظيم (داعش) الإرهابي ثيمة أساسية ومحوراً تدور في داخله ثيمات فرعية أخرى ، وتهدف الدراسة إلى استقراء الثيمات الأساسية والفرعية للروايات عينة الدراسة ، والكشف عن البنية التشكيلية والعناصر الفنية (التقنيات الروائية) التي وظفها الكاتب لتقديم تلك الثيمات ومقاربتها موضوعاتياً .

تم تقسيم الدراسة على ثلاثة مباحث يتقدمها تمهيد نظري لمفهوم الثيمة والموضوعاتية، و تضمن كل مبحث ثيمة مهيمنة في روايات (داعش) ، وهي: ثيمة الإرهاب والعنف ، وثيمة المرأة ، وثيمة الهوية الثقافية والحضارية والدينية. وانتهى البحث بالخاتمة التي تضمنت أهم ما توصلت إليه الدراسة من نتائج .

تمهيد: الثيمة ((theme أو الموضوعاتية

الثيمة ((theme أو الموضوعة أو الموضوعاتية هي الفكرة التي تسود في النص أو في جزءٍ منه

ويقابلها مايمكن تسميته - حدسياً- بموضوع النص[١]. والموضوعاتية (تلازم الأنواع الأدبية والأشكال النقدية مشددة في ذلك على الرسالة أو الفكرة المهيمنة على العمل الأدبي – النثري أو الشعري- لتلعب فيه دور القانون الأساسي المنظم لعضويته)[٢] . ويمكننا القول إن كل نص يتوافر على ثيمة (موضوعة معينة) أو غرض ما فهو نص مقبول عقليا، وتنطبق عليه عمليا صفة المقبولية ومشروعية قراءته ونقده، أما النص الذي يخلو من وجود غرض معين فهو نص مختل عقليا وناقص دلاليا ولا يمكن عدَه نصا إبداعيا أو أدبيا[٣]. فالموضوعاتية هي (دراسة لجانب الدلالة في السرد أو الشعر. ومع أن النقاد الموضوعاتيين أثاروا كثيرا من القضايا الجمالية والشكلية، إلا أن تتبع الوحدات الدلالية يبقى هو الهاجس الرئيسي في كل نقد يعتمد ملاحقة الثيمات في النص)[٤] ، وتختلف الموضوعة (الثيمة) عن الحدث كونها فكرة والحدث هو فعل يدخل في تركيب الحبكة ، كما تختلف عن الايديولوجيا التي تكون خارج النص وتسنده بينما الثيمة هي مضمون النص[٥] . إذن فالثيمة بمعناها المبسط والمراد هي الفكرة المهيمنة في النص ، وهي الموضوع الأساس والرهان المقصدي والقضية المحورية في العمل الأدبي التي يسخّر لها الكاتب البنية الفنية وكل عناصر الشكلية والتقنية .

* * *

(١) ينظر: معجم مصطلحات نقد الرواية عربي - انكليزي - فرنسي ، د. لطيف زيتوني ، مكتبة لبنان ناشرون ، دار النهار للنشر ، بيروت- لبنان ، ط١، ٢٠٠٢ : ١٦١-١٦٢ .

(٢) النقد الموضوعاتي ، الدكتور سعيد علوش ، نسخة الكترونية بصيغة pdf غير مطابقة للنسخة الورقية من حيث ترقيم الصفحات النسخة منقولة من موقع المؤلف http//www.saidalloush.net/index1.htmتنسيق عزالدين العمراني ، النسخة الورقية :منشورات شركة بابل للنشر والطباعة ، الرباط – المغرب ، ١٩٨٩ :٦ .

(٣) ينظر: المقاربة الموضوعاتية في النقد الأدبي ، د. جميل حمداوي ، مجلة ندوة الالكترونية للشعر المترجم .https://www arabicnadwah.com/articles/muqaraba-hamadaoui.htm تاريخ الدخول ٢٠٢٣/٧/٢٠

(٤) سحر الموضوع عن النقد الموضوعاتي في الرواية والشعر، د . حميد لحمداني، مطبعة آنفو، فاس - المغرب، ط ٢، ٢٠١٤ م: ٥٣.

(٥) ينظر: معجم مصطلحات نقد الرواية ، الدكتور سعيد علوش : ١٦٢ .

المبحث الأول

ثيمة الارهاب والعنف الدموي والقتل

واكب السرد الروائي كل المحن والحروب والكوارث البشرية وتعد ثيمة الإرهاب والعنف من أهم الثيمات المهيمنة في الرواية العربية على وجه العموم والرواية العراقية على وجه الخصوص . فالروائي (لم يعمد إلى توظيف الظاهرة الإرهابية على سبيل الموضة أو لمجرد مواكبة الأحداث بل الأصح أن الإرهاب يحضر في الأذهان شئنا أم أبينا ، وبالتالي كان لابد أن يترك بصماته في الكتابة)[١] ؛ لأنه أي الإرهاب ليس حدثاً عابراً في حياة الشعوب فهو لا يقاس بمدته ولا بعدد جرائمه ، وإنما بوحشيتها وفظاعتها[٢].

وإرهـاب داعش تكمن خطورته ليس في المدة الزمنية التي استغرقها ولا بعدد جرائمه وإنما بوحشيته التي مارسها على الناس البسطاء والاطفال والنساء ، مما فرض على الروائيين وقعاً خاصاً تملّك عقولهم وفكرهم ليجدوا أنفسهم في موقف صعب التنصل منه. فكان لثيمة العنف والقتل حضوراً مهيمناً في كل الروايات .

ففي رواية (رقصة الجديلة والنهر) التي تعد أول رواية عراقية وعربية صدرت تتحدث عن إرهاب داعش فهي تحمل عنواناً دلالياً لحادثة قتل المقاتلة الكردية (ريحانة) وكيف ذبحت ورفع رأسها وتدلت ضفيرتها الطويلة الممتلئة دماً لتحمل بطلة الرواية الاسم نفسه ، وكلمة (النهر) في العنوان كانت تمثل (مجزرة سبايكر) التي قتل فيها مايقارب ١٧٠٠ جندي إذ اقتاد مسلحو داعش طلبة كلية القوة الجوية العزّل إلى موقع القصور الرئاسية المطلة على نهر دجلة ونفذوا جريمتهم البشعة عبر رميهم بالرصاص وإلقاء جثثهم في نهر دجلة ، إذ يصفها الراوي العليم (مذبحة النهر لم تكن جريمة ، بل جريمتين ... "قتل ، وغرق" لئلا تبقى روح في جسدها أو تنجو)[٣] ، لهذه الجريمة البشعة وقعها المؤلم في نفوس العراقيين فلا غرابة أن تتحول إلى ثيمة روائية تجسد عنف ووحشية داعش ، ففي رواية (شتات نينوى) يرد ذكر هذه الثيمة عن طريق إحدى شخصيات الرواية (عزيز) وهو شخصية

(١) أثر الارهاب في الكتابة الروائية ، مخلوف عامر ، مجلة عالم الفكر ، تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – دولة الكويت ، ع ١ ، مجلد ٢٨، يوليو /سبتمبر ١٩٩٩ : ٣٠٨ .

(٢) ينظر: المصدر نفسه : ٣٠٤ .

(٣) رقصة الجديلة والنهر، وفاء عبدالرزاق ، مؤسسة المثقف العربي ، سيدني/استراليا ، نشر وتوزيع العارف للمطبوعات، بيروت-لبنان ،العراق –النجف الاشرف، ط١ ، ٢٠١٥ : ١٢١ .

روحانية زاهدة من الدنيا وما فيها وصاحب روح تصغي إلى المتألمين في كل مكان ، إذ يقول في وصف مجزرة سبايكر: (١٧٠٠ رصاصة تلقيتها في رأسي وجسدي قبل أيام ، كانوا فتياناً ، مجرد فتيان لهم أمهات يذرفن الدمع الآن . ذقت عذاب الحرق والذبح ، سمعت أنات جرحى قضوا تحت الجثث نزفاً واختناقاً)[١]، وتصور رواية (عذراء سنجار) ثيمة القتل والعنف لدى داعش بأنها نهج وسياسة وعقيدة فقيمة الداعشي في عرف التنظيم بقدر إجرامه ، إذ يصف بطل الرواية أحد ذبّاحي التنظيم:(ويلقبونه أبو رماح وهو شاب ليس كبير السن وهو أحد مجرمي مجزرة سبايكر ويردد دائماً ان غزوة سبايكر كانت سبباً بترقيته إلى منصب آخر كونه قتل عدداً كبيراً من الجنود)[٢].

وتتمظهر ثيمة العنف والقتل والتعذيب والموت في كل الروايات التي اتخذت من تنظيم داعش الإرهابي ثيمة أساسية ومحوراً لمتنها الحكائي ، تتمظهر في المفردات وفي اللغة وفي الوصف وحوار الشخصيات ، إذ لاتخلو أي رواية منها من مشاهد القتل والتعذيب ، وقطع الرؤوس ، وعقوبات الجلد وقطع الايدي ، والمقابر الجماعية وجرائم الإبادة بحق المكون الايزيدي ، ...الخ ، فصدى ثيمة العنف والموت والقتل يتردد في متون تلك الروايات ، على الرغم من اختلاف الروائيين في تصوير مشاهد العنف والدم والقتل فبعضهم كان يذكر تلك المشاهد بتفاصيلها دون تلميح او اختزال للمشاهد القاسية مثلما فعل البعض الآخر، فمشاهد العنف في رواية (عذراء سنجار) كانت تروى بتفاصيلها والقارئ يشعر بقسوتها وبشاعتها ، فمثلا يصف الرواي مشهد إعدام داعش الإرهابي لأحد المواطنين الأيزيديين :(دفع الرجلان الرجل المكبل من أعلى المنارة فهوى بثقل كبير وانلطش بكاشي الفناء مسبوقاً بصيحة اخترقت المسافة بين المنارة والأرض . كان ارتطامه قد رج المكان كأنه عمارة انهدَّت بغفلة وظلت صيحته موصولة حتى وهو يتبعثر وينفث دماء غزيرة مع شخير موصول مفزع كحيوان مذبوح. ..... ظلت جثة الرجل غاطسة بدماء تجري من كل اجزاء جسده وآخر ما لمحته قبل الخروج من المسجد الغراب الذي حط على رأس الجثة وهو ينعق نعيقاً لا أظن سينسى هذا المشهد الأخير ..كان الغراب يبكي)[٣]، إن استغراق هذه الرواية في مشاهد العنف والدم -أحسبه- كان قصدياً من كاتب الرواية ليشعر القارئ بهول الكارثة وحجم العنف والابادة التي تعرض لها المكون الايزيدي ، ويساعده – أي الكاتب- في ذلك قدرته الفائقة في سرد الأحداث ووصف الأشياء والشخصيات والأمكنة بطريقة عين الكاميرا حتى لتبدو وكأنها مشهد سينمائي ، ومثال ذلك مشهد تعذيب وجلد الفتيات الأيزيديات اللواتي امتنعن عن الدخول في الدين الاسلامي إذ يستغرق

(١) شتات نينوى ، غادة صديق رسول ، دار الفارابي ، بيروت-لبنان ، ط١ ، حزيران ٢٠١٦ : ٢٧٠ .
(٢) عذراء سنجار ، وارد بدر السالم ، دار شنكال للنشر والتوزيع ، دهوك- العراق ، ط٢ ، ٢٠١٦ : ٢٠٥ .
(٣) المصدر نفسه : ٢٢٨ – ٢٢٩ .

هذا المشهد ثمان صفحات تتمظهر ثيمة العنف والارهاب في كل مفردة فيها[١]. والرواية كلها تنضح بمشاهد العنف والقتل والتعذيب الجسدي والدموي لا يسع المجال إلى ذكرها بالتفصيل وكلها تمظهرات لثيمة العنف الجسدي : مقابر جماعية، وعقوبات وجلد ، وإعدامات [٢] . ويختلط في الرواية الوثائقي بالتخييلي إذ يتم توظيف تقنية (كسر حاجز الوهم) في الرواية عبر تضمين السرد وثائق وصور حقيقية توثق مشاهد العنف والقتل وهي في الوقت نفسه جزء من أحداث الرواية وهي تقنية تعطي تعددية في السرد وحرية في الطرح ، ومنها تضمين صورة حقيقية لشاب مقطوع الرأس التقطها بطل الرواية (الفتى) لينشرها في (موقع أهل الموصل) الالكتروني.[٣] وهذا الطرح لثيمة العنف يحمل ثيمة المقاومة عبر نشر بطل الرواية لجرائم داعش على شبكة الانترنت ، إذ تمثل شخصية (الفتى) - الذي لايُذكَر اسمه في الرواية- رمزاً للجيل الصاعد من الشباب الذي يقاوم الإرهاب بنشر صور ووثائق وافلام تسجيلية تفضح جرائم داعش وتثير الرأي العام العالمي .

وعلى خلاف رواية (عذراء سنجار) نجد روايات أُخر-على الرغم من الحضور المكثف لثيمة العنف- لا تسهب في مشاهد القتل والدم ولا تخوض في تفاصيلها ، مثل رواية (رقصة الجديلة والنهر) ، ورواية (شتات نينوى) ، ورواية (وشم الطائر) ؛ ولعل السبب يعود إلى إن كاتبات تلك الروايات هم نساء والمرأة بطبيعتها لا تحب الخوض في مشاهد العنف والقتل والدم ، لكن هذا لم يمنع من هيمنة ثيمة العنف فمثلاً في رواية (شتات نينوى) يروي البطل ما حدث في الموصل من قتل وتعذيب دون ذكر تفاصيل لمشاهد العنف :(تهم كيدية جاهزة ، ينفذ الحكم فيها في الساحات العامة أحياناً ، فألقي الشباب من أعلى العمارات ، رجم العشرات ، وجزّت الأعناق ، وُضِع البعض في أقفاص تحت الماء ، وآخرون في أقفاص تحترق ، فجُزّت الرؤوس في طقس موت تفنن به المجرمون . سالت على أرض الموصل دماء أكثر من المطر . في هذه المدينة الوطن ، كانت طريقة الموت هي أقصى أحلام الضحية التي لا تتمنى من ربها أكثر من رصاصة في الرأس. رصاصة في الرأس يا ربي ، بدل قفص يحترق ، أو آخر يغرق ، ، بدل ذبح بطيء أثناء سماع تكبيرات مسلمين آخر الزمان ! مسلم يذبح آخر ، يحرق آخر ، يفجر آخر...)[٤]. وبالأسلوب نفسه تمظهرت ثيمة العنف في رواية (رقصة الجديلة والنهر) إذ اكتفت كاتبتها بالحديث عن العموميات دون الخوض في التفاصيل ساعدها في ذلك لغتها الشعرية المكثفة في سرد الأحداث ، فعلى الرغم من تردد مفردات العنف والقتل والارهاب

(١) عذراء سنجار: ٥٢- ٥٩ .

(٢) ينظر المصدر نفسه : على سبيل المثال لا الحصر- الصفحات : ٩٠ – ٩٥ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٥٧ ، ١٦١ ، ٣٥٣- ٣٥٤ ، ٣٧٤ – ٣٧٦ ، ٤١٨، ٤٣٤ ، ٤٣٧- ٤٣٩ .

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ٤٣٩ . وينظر ايضاً: ٤٣٥ – ٤٣٨ . إذ يتم توظيف شبكة الانترنت والمواقع الالكترونية في السرد.

(٤) شتات نينوى : ٣٣٦ .

في كل تفصيلات الرواية لكن الكاتبة تجنبت الخوض في التفاصيل ، فمثلاً يصف الراوي العليم مشاعر شخصياته التي تعرضت للعنف والقتل : (إنه الشعور بالموت في أية لحظة ، وكيف يأتي مباغتاً من رصاصة أو قذيفة أو "داعشي" ذبَاح . الوضع يدعو للرثاء ، والحالة مؤسفة جداً ... هكذا يضيع الشباب والأطفال والشيوخ ، وبلمح البصر يصبحون مجرد رماد)[1]. والرواية كلها حافلة بثيمة العنف ففي كل صفحة لابد من أن ترد مفردة أو أكثر من مفردات هذه الثيمة (الفاجعة ، التفجير ، الموت ، الجلاد ، مقبرة جماعية ، القتل ، فَقْد ، صراخ، هلع ، بطش، ذبح ، ...الخ) ، فحتى أبطال الرواية (الطفل ، والملاك ، وعازف الناي) هم أرواح خرجت من أجسادها بالقتل والعنف .

ويبدو أن الابتعاد عن سرد تفاصيل مشاهد العنف هو سمة اتبعتها أغلب الروائيات ، ففي رواية (وشم الطائر) عندما يروي الراوي العليم حادثة قطع رأس (إلياس) زوج (هيلين) بطلة الرواية اكتفى بذكره دون تفاصيل برغم أن البطلة كانت تبحث عنه طول أحداث الرواية ولم يكتشف مصيره إلا في نهايتها :(أخبرها ياسر كيف أنه ويحيى شاهدا إلياس في اليوتيوب. شاهدا على شاشة العرض أعضاء التنظيم يقطعون رأس إلياس والدم يتدفق من رقبته)[2]، فمشهد القتل يذكره الراوي في سطرين بينما يروي ما يتركه هذا الحدث المأساوي في الشخصيات ليصف مشاعر البطلة ويقف عندها أطول بكثير من حادثة العنف نفسها . وهو أسلوب اتبعته الروائية بعدم الخوض التفصيلي بمشاهد القتل والدم في الرواية كلها على الرغم من هيمنة ثيمة العنف فيها . ولعل هذه السمة ليست حكراً على الروائيات فقط ، فقد اتبعها أيضاً الكاتب (نوزت شمدين) في روايته (شظايا فيروز) فمع حضور ثيمة العنف في كل مفاصل الرواية إلا أن كاتبها ابتعد عن الخوض في تفاصيل القتل والذبح ، فمثلا عندما يروي الراوي مشهد إعدام (الحاج بومة) – الذي يشغل ثلاث صفحات- فإنه يتجنب مشهد قطع الرأس بحيلة فنية ذكية وهي اغماض البطل (مراد) لعينيه لأنه لايريد رؤية قطع الرأس:(دفع السياف الحاج بومة من رقبته ، فمال برأسه إلى الأمام وارتفع السيف إلى فوق ..... لمح مع هبوط السيف ابتسامة مديره . أطلقها أخيراً صافية ووديعة ، مستقبلاً بها وبشجاعة ميتةً اختارها وسعى إليها بنفسه. أطبق مراد جفنيه حين وصل السيف إلى هدفه ، أراد أن يضل الحاج بومة المكتمل بإنسانيته مكتملاً بجسده أيضاً في ذهنه ، والتفت ليذرف دموع حزنه بعيداً ، فيما كان الجمهور المنتشي لمنظر الدماء يصيح : "الله أكبر، الله أكبر")[3] . وتمظهرت أيضاً ثيمة العنف في رواية (حراس البوابة) للكاتب (منذر المدفعي) بأسلوب ابتعد عن الخوض في مشاهد العنف والقتل .[4]

(١) رقصة الجديلة والنهر: ٣٢ .

(٢) وشم الطائر ، دنيا ميخائيل ، دار الرافدين ، بيروت – بغداد ، ط١ ، ٢٠٢٠ : ٢٣٧ .

(٣) شظايا فيروز ، نوزت شمدين ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت –لبنان ، طبعة جديدة ومنقحة ٢٠١٧ : ٢٦٩ .

(٤) ينظر: حراس البوابة ، منذر المدفعي ، دار النخبة ، الجيزة – مصر ، ط١ ، ١٤٣٨هـ- ٢٠١٧ م : على سبيل المثال لا الحصر:

ومن التقنيات الفنية التي تم توظيفها في تناول ثيمة العنف والقتل هي (الواقعية السحرية) أو الغرائبية، فقد دمجت بعض الروايات الواقعي بالغرائبي في سرد مشاهد العنف والموت لاسيما روايتي (عذراء سنجار) ورواية (رقصة الجديلة والنهر) ، إذ تمثل قصة (الخال عفدال) في رواية (عذراء سنجار) أنموذجاً للواقعية السحرية وتداخل الواقعي بالغرائبي إذ يتحول ذلك الرجل المسن إلى أسطورة بسبب تمسكه بديانته ليقوم تنظيم داعش بإلقائه (من سطح بيته إلى الطارمة فغاص فيها ونبتت شجرة تين صغيرة في موضع إلقائه...!)[١] وبتقنية تعدد السرد والحوار الخارجي بين الشخصيات تقوم شخصية (المرأة الحامل) بسرد قصة (الخال عفدال) لشخصية (الفتى) و(العم آزاد) إذ يمتد الحوار لسبع صفحات[٢] تروي فيه (المرأة الحامل) حادثة الخال الشهيد الذي اخترق جسده الكونكريت وغاص في الأرض بمعجزة غريبة ليكوّن حفرة كأنها بئر عميقة خرجت منها شجيرة تين مدت أغصانها وأوراقها خارجها صارت بمرور الأشهر شجرة كبيرة تبث نوراً غريباً . ويحمل السرد الغرائبي دلالات رمزية فشجرة التين دلالة رمزية لدين الانسان ، إذ يرد في حوار الحامل مع الفتى[٣]، وتثبت نهاية الرواية هذه الدلالة الرمزية في الحوار الذي يدور بين (العم سربست) وروح الشهيد (عفدال) والصقر[٤].

إن الفنتازيا أوالغرائبية لا تصادر الواقع وانما تضفي عليه قيمة رمزية ودلالية مضافة لاسيما إن الواقعي قد اقترن في التجربة[٥]. كما تخفف الغرائبية من حدة الواقع وبشاعته لذلك ارتبط وجودها مع ثيمة العنف والإرهاب فكلما اشتدت مشاهد العنف والقتل صعُب التعبير عنها بالتقنيات الفنية التقليدية ؛ لذا لجأ بعض الكتاب إلى اللغة الشعرية في سرد مشاهد العنف وهو ما فعلته الروائية والشاعرة (وفاء عبد الرزاق) في روايتها (رقصة الجديلة والنهر) إذ امتزج الواقعي بالغرائبي، فجعلت من أرواح الشهداء أبطالاً للرواية وشخصيات فاعلة وصانعة للأحداث فمثلاً يروي الراوي العليم جريمة سبايكر وكيف كانت روح الشهيدة (ريحانة) تخفف من المغدورين الشباب ألم القتل والغرق : (''ريحانة'' مشغولة بحزم سنابلها مع الآخرين الذين أُعِدُوا لقتل مختلف. وقفت على ضفة نهر (دجلة) تحتضن كل جندي معصوب العينين ، والمغلول بالأصفاء، حين وجه الحاقد رصاصته إلى رأسه ، رماه كافر حاقد آخر في النهر. كان النهر يصرخ مع تلك الصرخة المكبوتة ، والموج ينحب مع رفيف الروح ورفرفة الجسد الغرقان ...و''ريحانة'' تضع في أصفاد كل جندي سنبلة ، تخفف عليه لحظة الاختناق

---

١٣٨ ، ١٥٠ .

(١) عذراء سنجار: ١٦١ .

(٢) ينظر: المصدر نفسه : ١٦٠ – ١٦٧ .

(٣) ينظر: عذراء سنجار : ١٦٧ .

(٤) ينظر: المصدر نفسه : ٥٠١ – ٥٠٦ .

(٥) ينظر: المقموع والمسكوت عنه في السرد العربي ، فاضل ثامر ، دار المدى للثقافة والنشر ، سورية-دمشق ، بيروت-لبنان،بغداد –العراق، ط١ ، ٢٠٠٤ : ١١٩ .

غرقاً وتستجمع ما بقي من مخه أثر رصاصة حاقد طائفي ، لئلا تلتهمها الأسماك ، تلفها بالسنابل ، وتأخذها معها في صرة ، من ثوبها...بكى النهر بدمع أحمر ،..... سمعت الملائكة صرخة السنابل وصرخة النهر ، وراحت تنشر الورق الأبيض لتخط عليه أسماءهم، كي يدخلوا الجنة)[1] تتجلى اللغة الشعرية في خصوصية التركيب وانزياح اللغة ومجازيتها وقدرتها على الإيحاء والتمرد على الدلالات المعجمية ، فضلاً عن سردها للأحداث على شكل صور شعرية التي تتمثل بالاستعارة والكناية والتشبيه وغيرها .

* * *

(١) رقصة الجديلة والنهر: ١٢١ .

المبحث الثاني

ثيمة المرأة

بعد سقوط مدينة الموصل بيد تنظيم داعش الإرهابي في ٢٠١٤/٦/١٠ ، قامت قوات هذا التنظيم بالهجوم على قضاء سنجار والقرى والمجمعات الأيزيدية التابعة له في يوم ٢٠١٤/٨/٣ ، وقاموا بقتل حوالي (٤٠٠٠) أربعة آلاف شخص من الرجال والنساء والأطفال ، وسبي النساء ، والفتيات الأيزيديات، وبيعهن وإهدائهن ، فضلاً عما خلفه هذا الهجوم من موجات نزوح وخطف وأسر ومقابر جماعية .[١] ويبقى سبي النساء الأيزيديات وبيعهن في سوق النخاسة من أبشع الجرائم الانسانية في القرن الواحد والعشرين ؛ لذا فقد تحولت المرأة إلى ثيمة أساسية في الروايات التي كتبت عن (داعش) ، بل اتخذت أغلب تلك الروايات من الفتاة الأيزيدية المخطوفة الفكرة الرئيسة التي تدور حولها أحداث الرواية مثل رواية (عذراء سنجار) ورواية (شظايا فيروز) ، فضلا عن رواية (رقصة الجديلة والنهر) التي تظهر فيها ثيمة المرأة من خلال مفردة (الجديلة) وقد شكل العنوان بؤرة دلالية ونصاً موازياً للمتن الروائي لتلك الروايات . ولم يكن عنوان رواية (عذراء سنجار) وحده موجهاً دلالياً للقارئ وإنما كان للإهداء دور مهم في توجيه القارئ لثيمة الرواية الأساسية : (إلى : نادية مراد أسيرة داعش .. المرشحة الى جائزة نوبل للسلام)[٢] .

شكلت قضية سبي النساء الأيزيديات ثيمة مشتركة بين أغلب الروايات عينة الدراسة ، حتى انها تشترك في بعض تفصيلات حدث السبي فمثلاً تُحتَجَز الأيزيديات المخطوفات (السبايا) في بناية رسمية (مدرسة) مكونة من طابقين ، إذ تروي الراوية البطلة (فيروز) حادثة السبي : (احتجزونا داخل مدرسة ذات طابقين وساحة واسعة في مدينة تلعفر . ثم ألحقوا بنا ، وعلى مدى ثلاثة أسابيع ، نساء وأطفالاً جلبتهم الحافلات من قرى ومجمعات أيزيدية عديدة فامتلأت الصفوف والممرات ونصبت خيمتان في الساحة وأخرى فوق سطح البناية . بالكاد قلبنا أجسادنا على الأرض دون وسائد في مساحة ضيقة)[٣]، وهو ماجاء على لسان (الراهبة نالين) إحدى شخصيات رواية (عذراء سنجار) إذ

(١) ينظر: الفرمان الأخير داعش والإبادة الجماعية للأيزيديين ، إعداد: حسو هورمي ، تقديم ومراجعة: سعد سلوم ، مؤسسة مسارات للتنمية الثقافية والاعلامية ،بيروت- بغداد ، دار الرافدين ، لبنان-بيروت ، ط١ ،لبنان/كندا ، ٢٠١٥ : ٤٩ - ٥٠ .

(٢) نادية مراد هي إحدى المختطفات الأيزيديات التي تمكنت من الهرب من تنظيم داعش ووصلت إلى ألمانيا عن طريق برنامج مساعدة منذ العام ٢٠١٦ لتصبح أول مبعوثة في منظمة الأمم المتحدة لصون كرامة الناجين من الاتجار بالبشر، واعترافاً بجهودها حصلت على جائزة نوبل للسلام عام ٢٠١٨ .

(٣) شظايا فيروز : ٧٣ .

تروي في حادثة اختطافها : (فأودعوني في غرفة بدائرة رسمية صارت سجناً من طابقين حتى مجيء أسيرات كثيرات من القرى المتباعدة عن شنكال)[١]. ويتكرر ذكر هذا المكان في الرواية على لسان شخصية أخرى هي الصبية القاصر(نارين):(هناك وجدت الكثيرات في بيت كبير أظنه دائرة رسمية يتوزعن على عدد غير قليل من الغرف)[٢] ، ومن مكان يشبه هذا المكان (المدرسة) تبدأ رواية (وشم الطائر) لكن المفارقة فيها أن تلك المدرسة التي أصبحت سوقاً لبيع النساء هي ذاتها مدرسة البطلة (هيلين) التي أكملت فيها دراستها الابتدائية.[٣] والمفارقة الأخرى هي(التناقض الكبير في الملابس التي يفرضها عليهن أعضاء التنظيم . ففي البداية عليهن أن يرتدين النقاب الأسود الذي لا تظهر منه سوى العيون، وبعد ذلك عليهن ارتداء ملابس خلاعية لتصويرهن وعرضهن للبيع)[٤]، فالمرأة عند هؤلاء الدواعش مجرد رقم لا قيمة لها سوى جسدها وهو ما تجسده افتتاحية الرواية برقم (٢٧) : (أحدهم ينادي بصوت عالٍ "٢٧، رقم ٢٧." لم تعرف هيلين في البداية بأن ذلك رقمها)[٥]. إن ثيمة سبي النساء الأيزيديات وخطفهن شكلت محوراً مقصدياً بنيت على أساسه أحداث الروايات عينة الدراسة – باستثناء رواية (حراس البوابة) – فحتى رواية (شتات نينوى) التي تدور أحداثها في مدينة الموصل فإن ثيمة السبي تمظهرت من خلال بناء حدث الهجرة والنزوح من الموصل لبطل الرواية (احمد) وعائلته يُبنى على حدث رواية ابنته الطبيبة لِما رأته في المستشفى من حالات تعرض الايزيديات من اغتصاب وعنف من داعش ، إذ يصف الراوي البطل شعوره لدى سماعه ماحدث للأيزيديات : (في تلك اللحظة نزلت أول دمعة لي في ذلك اليوم ، كنت أشعر بالخزي والعار ، كنت أشعر أن عرضي انتهك ، وأن براءة أولادي لا سواهم قد سرقت بدون ذنب. روت لي زينة حكايات كثيرات التقتهن في غرف المستشفى . فتيات في الثالثة عشرة ، والرابعة عشرة، أصبحن زوجات ، وأخريات تعرضن لنزف خطير بسبب سوء المعاملة)[٦] ، ليقرر البطل على أثرها الرحيل من مدينته الموصل: (المهم، في اليوم نفسه الذي شهد حديثي مع زينة اجتمعت بعائلتي وقلت لهم إن الموصل لم تعد صالحة للبقاء)[٧] .

تناولت روايات داعش ثيمة المرأة من ناحية كون المرأة بمختلف مراحلها العمرية كانت أكثر شرائح المجتمع عرضةً لإرهاب وعنف داعش ولاسيما المرأة الأيزيدية إذ تعرضت للخطف والاغتصاب

(١) عذراء سنجار: ٣٦٦ .
(٢) المصدر نفسه: ٤٦٧ .
(٣) ينظر: وشم الطائر: ٨
(٤) المصدر نفسه: ٨-٩ .
(٥) وشم الطائر: ٧ .
(٦) شتات نينوى: ٣٠٢ .
(٧) شتات نينوى : ٣٠٢ .

والقتل والذل والنزوح ؛ لذا فأغلب الروايات عالجت هذه الثيمة عبر أحداث وشخصيات وتقنيات فنية تكاد تكون متشابهة فيما بينها ، ففي كل رواية نجد فتيات مخطوفات تعرضن للعنف والاغتصاب ، وفي كل رواية الاماكن متشابهة (سنجار، تلعفر ، الموصل، دائرة رسمية) ، وفي كل رواية نجد ثمة شخصيات تعمل على انقاذ السبايا وتحريرهن من براثن داعش الارهابي ، فضلاً عن تسليط الروايات لمشاعر المخطوفات من النساء والفتيات الصغيرات ومشاعر ذويهن فالشرف والعفة من المقدسات لدى الايزيديين. لقد أظهرت هذهِ الروايات حقيقة (داعش) الإرهابي وفكره وعقيدته المبنية على أساس الجنس والمال والسلطة ، الأمر الذي يؤكد مقولة (ماثيو باربر) الخبير في الأقلية الأيزيدية في جامعة شيكاغو التي تنص : (كان الهجوم على سنجار غزواً جنسياً بقدر ما كان لتحقيق مكاسب ميدانية)[١]، وهذه المقولة والرأي يرد في رواية (عذراء سنجار) على لسان إحدى الشخصيات وهي (الراهبة نالين) :(كل يوم يأتون بأسيرات من كل القرى التي تحيط بشنكال . يفعلون بهن مايشاءون . لم تسلم حتى المتزوجات . غزو جنسي غريب من نوعه)[٢]، وهذا الرأي هو تشخيص دقيق لموقف هذا التنظيم الإرهابي من المرأة ونظرته لها . حتى النساء اللواتي ينتمين له أي (نساء الدواعش) لم يبتعد دورهن عن هذا المنظور فقد كانت تدور في دائرة الجنس والمتعة والخدمة ، إلا إن الاختلاف هو ان نساء داعش اخترن هذا الدور لأنهن يحملن الفكر الظلامي نفسه، فكانت شخصية المرأة الداعشية في الرواية أداة لتعنيف بنات جنسها لا تختلف عن الرجل الداعشي ، فكان دورها هو تهيئة السبايا واعدادهن للبيع ، تصف (فيروز) بطلة رواية (شظايا فيروز) المرأة الداعشية التي تشرف عليهن : (تولت امرأة داعشية نحيلة اسمها أم البراء الإشراف علينا لتهيئتنا وإعدادنا للبيع . ذكرت لنا مهامها هذه في كلمة قصيرة ألقتها علينا ، وهي واقفة على السجادة وسط الصالة ، ونبهت قبل أن تشير إلى مساعداتها الأربع بالبدء بالعمل ، إلى أن المعترضة منا ستعاقب بالجلد ....)[٣] فالمرأة الداعشية تعمل على تحويل بنات جنسها إلى سلعة للمتعة الجسدية : (قضت أم البراء نهار ذلك اليوم تعليمنا حقوق الرجل المسلم على المرأة التي يملكها ، ووجوب الانقياد له في كل شيء يأمر به ...في صباح الجمعة التالية أخبرتنا مساعدات أم البراء أنهن سيبدأن السبت بتعليمنا كيف نهتم بمظهرنا ، لكي نحصل على سادة يحتفظون بنا ولا يبيعوننا مرة أخرى)[٤]، وهذا النموذج من النساء الداعشيات الانتماء والفكر يتكرر في الرواية مثل (الحاجة حليمة) زوجة الداعشي (أبو دجانة) الذي اشترى بطلة الرواية (فيروز) واختها (كلي) إذ مارست هذه المرأة أقسى انواع التعنيف اللفظي والبدني

(١) الفرمان الأخير: ١١٥ .

(٢) عذراء سنجار: ٣٦١ .

(٣) شظايا فيروز: ١٩٠ .

(٤) المصدر نفسه: ١٩٠ -١٩١ .

بحقهما[١] ، وعلى شاكلة هذه المرأة أيضاً نجد شخصية (ام القعقاع) زوجة الداعشي (أبو القعقاع) داعشية الفكر التي ساعدت زوجها على اغتصاب (فيروز) وبيع اختها الصغيرة (كلي)[٢]. وعرضت الرواية نموذجاً آخر للمرأة التي تعمل مع تنظيم داعش لكنها احتفظت بطبيعتها وفطرتها كأمرأة تغلب عليها مشاعر الأمومة والرحمة وهي شخصية (الحاجة رقية الأفغانية) التي كانت تعمل في المطبخ في البناية التي تحجز فيها السبايا فقد تعاملت بعطف ورحمة مع (فيروز) وساعدتها مادياً[٣] . وقدمت رواية (عذراء سنجار) أنموذجاً لنساء داعش الذي يدعى في عُرف داعش بـ(مجاهدات النكاح) وهن نساء جئن من دول أجنبية وعربية لتقديم أجسادهن لرجال تنظيم داعش[٤] ، وقد سُمِّي احد فصول الرواية بـ(سيدة النكاح) وهو الفصل الذي ترويه (نارين) إحدى الأيزيديات المخطوفات عن رحلتها المؤلمة مع تنظيم داعش وكيف تم بيعها واغتصابها أكثر من مرة بين أفراد التنظيم إذ تصف إحدى هؤلاء (مجاهدات النكاح) :(ترك معي امرأة تكبرني بعشرين سنة . موتورة دائماً . تقول انها مجاهدة نكاح تغذي المقاتلين بالجنس .....)[٥] .

تمظهرت ثيمة المرأة في الروايات عينة الدراسة في تجسيد أغلب هذه الروايات كره (داعش) للمرأة وتعنيفها واحتقارها ومعاملتها على انها سلعة ، فلم تعاني المرأة في تاريخها أسوأ مماعانته في ظل هذا التنظيم الإرهابي فهم (يحتقرون المرأة بشكل لكنهم يتسابقون على شرائها من أجل المتعة ....كل واحد فيهم لديه عدد من السبايا السنجاريات او المسيحيات الحلبيات يوزعونهن كحصص للأمراء ومقاتلي الجبهات والانتحاريين وما دونهم كغنائم حرب ومن حق أي واحد يبيع ماعنده من سبايا إن أراد)[٦] . ومشاهد تعنيف المرأة سواء كانت صغيرة أو مسنة في هذه الروايات عديدة من بيع ووشراء للسبايا وتعنيف لفظي وجسدي واغتصاب انها عملية قتل للمكون الأيزيدي من نقطة حيائهم وشرفهم[٧]. وعلى الرغم من كل هذا العنف والتهميش الذي تعرضت له المرأة لكن الروايات لم تتعامل مع المرأة – فنياً- على انها هامش وإنما كونها مركزاً ، وشخصية المرأة لاسيما المرأة الأيزيدية كانت محور أغلب الروايات والمرتكز الذي تدور حوله الأحداث ، فقد كانت أكثر الشخصيات النسائية

(١) ينظر: المصدر نفسه: ٢٢٥ – ٢٣٠ .

(٢) ينظر: شظايا فيروز : ٢٣٨ – ٢٤٥ .

(٣) شظايا فيروز : ١١٠ - ١١٢ ، ١٧٠ – ١٧١ .

(٤) ينظر: عذراء سنجار : ٤٧١ .

(٥) المصدر نفسه : ٤٦٦ .

(٦) عذراء سنجار : ٢٠٦ .

(٧) ينظر : على سبيل المثال لا الحصر : عذراء سنجار: ٥٢ – ٥٣ ، ٧٥ ، ٨٠ ، ١٠٠ ، ٢٨٦ ، ٣٤٢ ، ٣٤٩- ٣٥٣ ، ٣٦٣- ٣٦٤ ، ٣٦٩ ، ٤٦٥، وينظر: شتات نينوى: ٢٥٣ ، ٣٢١ . وينظر: شظايا فيروز: ٧٢ ، ٨٧ ، ١٤٨- ١٥١ ، ٢٠٢- ٢٠٥ ، ٢١٢ ، ٢٢٢ ، ٢٤٤- ٢٤٥ ، ٢٧٠ . وينظر: رقصة الجديلة والنهر : ٢٨-٣١ ، ٧٦- ٧٧ . وينظر: وشم الطائر : ٧- ١٤ ، ١٦٧، ١٩٣ – ١٩٨ .

شخصيات مستديرة غير مسطحة رفضت الظلم والعنف والاغتصاب كل حسب طريقتها، إذ تتجسد قوة المرأة في الرفض الإباء والدفاع عن النفس والمقاومة بالكلام أو البصاق : (صرخت أسيرة بهم "كفى ، تقبلون واحداً يفعل هكذا بأمهاتكم وأخواتكم؟" ضربها أحدهم على الفور بالحائط حتى انهارت . تبعته امرأة أخرى وهي تصرخ بكلمات غير مفهومة . بصقت عليه . قلّدتها هيلين وبصقت على رجل بقربها . تلتها أسيرة أخرى بنفس الشيء . بصقت كل أسيرة في تلك الغرفة على كل من استطاعت فيما يشبه حملة بصاق على المغتصِبين . بهت الرجال لردّة الفعل الجماعية عليهم . ضربوهن بكل قوتهم . ولكن في النهاية ساد هدوء في الغرفة وقد بدا على الرجال الإنهاك من ضربهم للأسيرات أو ربما من فقدانهم لماء الوجه ، فغادروا الغرفة واحداً بعد الآخر بينما الأسيرات تبادلن نظرات تشجيع كأنهن يربتن على أكتافهن المبقّعة بالرضوض والألم)[١]، وقد تلجأ الاسيرات إلى لغة الصمت واختيار إنهاء حياتها (الانتحار) بالشنق أو قطع الشرايين[٢] وهي نهاية وإن كانت محرمة وبشعة إلا انها مظهر من مظاهر الرفض . وتعد شخصية (شيرين) في رواية (شظايا فيروز) من الشخصيات التي تمثل أنموذجاً للمرأة القوية الشجاعة وهي فتاة أيزيدية ممرضة من مدينة سنجار ، شابة شجاعة واثقة من نفسها ، وتفقه بأمور دينها الأيزيدي على عكس بقية الفتيات والنساء المخطوفات فهن غير متعلمات وغير مطّلِعات ، فتحولت (شيرين) إلى فانوس خفف من ظلام المخطوفات في الحجز وكانت لهن عون لفهم حقيقة مايجري لهن وقامت بتعليمهن المواجهة بدل الاستسلام التام لقدرهن وعرَّفت الكثيرات منهن بأمور دينهن ، فضلاً عن خدماتها الطبية كونها ممرضة[٣]، إلا إنها تم حبسها في زنزانة انفرادية - بعد ان قاموا بتعذيبها جسدياً – وأتوا بطبيب باكستاني ليعالجها حتى يأخذها المدعو(أمير الصحراء) سبية له ، لكنها رفضت العلاج والأكل لكي لاتذهب معه ، وتصف (فيروز) قوة (شيرين) وهي في الزنزانة: (حتى مع ضعف جسدها ونحوله كانت شيرين قوية ولا يمكن فرض شيء عليها ، وهذا ماكان يشعرني بالخوف ؛ لأن عنادها كان دليلاً على أنها ستقاومهم على طريقتها ، مما يعني أن موتها وشيك لا محالة)[٤] ، وأنهت (شيرين) حياتها بعد أن عرفت من إحداهن أن (داعش) أعدموا والدها وأخاها الصغير أمام باب المنزل وتركوا جثثهم أياما تنهش فيها الكلاب ، لترد على (فيروز) عندما أعلمتها أن الانتحار حرام : (لم يبق لي أحد في هذا العالم ، والحرام هو أن تسمحي للأمير الداعشي بأن يأخذني)[٥]، وتصف (فيروز) لحظة دخولها على (شيرين) ووجدتها

(١) وشم الطائر: ١٠ .

(٢) ينظر على سبيل المثال لا الحصر : وشم الطائر: ١٠ ، ١٢ ، وينظر: عذراء سنجار: ٢٦٧ . شظايا فيروز : ١١٩ – ١٢٠.

(٣) ينظر: شظايا فيروز: ٧٥- ٨٤ ،

(٤) شظايا فيروز: ١١٤ .

(٥) شظايا فيروز : ١١٥ .

منتحرة:(كانت مطروحة على ظهرها وسط الزنزانة ، ورأسها مائل يساراً ناحية الباب ، كأنها انتظرت قدومي لكي تنقل لي بشرى انتصارها على الداعشي أمير الصحراء ، وعلى زنزانتها وخذلاني لها .... لمحت على وجهها مايشبه الابتسامة أكدتها غمازة خدها الأيمن ، فتذكرت ما قالته لي في إحدى المرات أننا الأيزيدية لا يشكل الموت نهايةً بالنسبة إلينا وإنما هو محطة ننتقل بها إلى حياة أخرى جديدة بالكامل)[1] ماتت (شيرين) لكنها بقيت حية في داخل (فيروز) تستمد منها القوة في المواقف الصعبة صوتاً قوياً تواجه به العنف[2] . وأغلب الشخصيات النسائية في الروايات لم يكن ضعيفات وانما قاومن العنف والسبي عبر محاولات الهرب[3] ، لكن رواية (رقصة الجديلة والنهر) تقدم أنموذجاً آخر من المرأة القوية وهي (المرأة المقاتلة) التي تطوعت للدفاع عن أرضها وشرفها ضد التنظيم الإرهابي إذ يروي الراوي العليم معاناة الآباء والأمهات ومايشعرون به من حزن وقلق بعد تطوع بناتهم وابنائهم لقتال (داعش) :(و"خلّات" الذي يئن ليلاً ونهاراً على فقد ابنته المتطوعة للدفاع عن أرضها ، التي لم يسمع أي خبر منذ أن تركته رغماً عنه ، كان بين نارين لا تلتقيان ، نار (الدفاع عن الوطن) وقسوة وداع ابنته الوحيدة "شيرين". للنارين خُلقت الجنة)[4]، (شيرين) تركت أباها وحبيبها (حامد) عازف الناي لتلتحق بجيش (البشمركة) :(فدت نفسها للدفاع عن أرضها ، وعرض المغتصبات من بنات جنسها ، لكن أباها ظل منتظراً عودتها ولم يصدق ما سمعه من أهل القرية)[5] لم تكن (شيرين) وحدها وإنما كانت معها فتيات أخريات اخترن أن يدافعن عن أرضهن وعرضهن والتخلي عن أحلامهن بالحب والزواج والاستقرار، وهن : (روناهي ، وبريفان ، وريحانة) وكلهن استشهدن في منطقة (كوباني) على الحدود العراقية السورية ، فبينما فجّرت (بريفان) نفسها لئلا تقع أسيرة لدى داعش ، ماتت (شيرين وروهاني) أثناء تأدية الواجب ، وبقيت (ريحانة) تتخفى من (داعش) وتمكنت من قتل عدد كثير منهم[6]. إلا انها بعد تمكن داعش من السيطرة على كوباني وقعت في قبضتهم وحزّ نحرها ، إذ يصفها الراوي العليم بعد قتلها :(نشرت صورها في الإعلام والداعشي يرفع رأسها المقطوع ، وضفيرتها المتدلية إلى الأرض، رغم ذلك لم تفارقها الابتسامة ، مرسومة على محياها وهي ذاهبة للشهادة في سبيل الوطن ...ابتسامة حب كبير يتسع العالم كله... أو

(١) المصدر نفسه : ١٢٠ .

(٢) نظر المصدر نفسه: ٢٦٦ .

(٣) ينظر: على سبيل المثال لا الحصر : رقصة الجديلة والنهر:٢٨ – ٣١ ، عذراء سنجار : ٣٥٤ – ٣٥٩ ، شظايا فيروز: ٢٧٥ – ٢٧٧ .

(٤) رقصة الجديلة والنهر: ٢٨ .

(٥) رقصة الجديلة والنهر : ٦١ .

(٦) ينظر: المصدر نفسه : ٧٩- ١٠٥ .

نور يتسلل الحوائط كلها ليخترق الحواجز ويصل إلى كل شبر عاش فيه هؤلاء المجرمون)[١] ، وقصة (ريحانة) لها مرجعياتها الواقعية وهي السبب الرئيس الذي حمل الكاتبة (وفاء عبدالرزاق) لكتابة الرواية إذ صرحت في أحد اللقاءات : (سبب كتابتي لهذه الرواية ، استفزتني صورة المقاتلة الكردية "ريحانة" وهي مذبوحة وقد رفع رأسها القاتل الداعشي بيده ، وكانت الابتسامة مرسومة على محياها وضفيرتها الطويلة الممتلئة دماً تتدلى أرضاً ... وكانت البطلة في الرواية "ريحانة ذاتها" بنفس الاسم ايضاً . كتبتها لأنني أريد رد الاعتبار لهذه المقاتلة ومثيلاتها اللواتي فضلن التفجير بأنفسهن على أن يكونن أسيرات بيد الدواعش)[٢] ، وبرغم مرجعيات الرواية الواقعية فإن الكاتبة عالجت الواقعي بالغرائبي عبر نمو الحدث غرائبياً ففي (المنطقة التي حُز نحرها فيها نبتت شجرة بجذ ع أحمر اللون ،.....وصارت للشجرة أغصان متفرعة كثيرة ، حتى أصبحت خلال فترة زمنية قصيرة شجرة كبيرة تبدو عمرها مئات السنين. نهايات أغصانها مدببة كما الأظافر وحادة جداً...قيل إن الشجرة تنبسط لبعض الملتجئين إليها فيناموا آمنين تحتها ، بينما للآخرين تنغرس الأغصان في الأرض وتصبح شبكة أغصان كما السجن، تزهر ورداً ينز سائلاً أحمر....تصبح غولاً حين ترى داعشياً قادماً نحوها ، فتعصره حتى الموت...وقيل أنها تحمي العشاق الهاربين من عيون الرقيب..... تسر الناس وتعبر عن رغباتهم خاصة في قتل أي عدد من (داعش)، وكل صباح يجدون عشرة منهم ميتين تحت أغصانها ولا علائم للقتل أو الخنق على أحد منهم ... أطلق عليها (داعش) الشجرة الغول)[٣] ، وتحولت روح (ريحانة) إلى ملاك لها أجنحة تحلق فوق الشجرة وفوق الأمهات والآباء الفاقدين ابناءهم وفوق البيوت المنكوبة تضع السنابل عند الأبواب بعدد المفقودين . إن هذا المزج بين السرد الواقعي والسرد الغرائبي نابع من تطور التقنيات الفنية إذ لم تعد الأشكال التقليدية قادرة على مواجهة التحديات الجديدة والمتغيرات في البنى الاجتماعية وبنية الوعي ، وبالتالي فالقاص والروائي العربي لم يعد قادراً على تصوير معاناة الانسان في عالم شديد التعقيد بأدواته السردية التقليدية وبالواقعية التي كان معتاداً عليها ، لاسيما بعد تعرض الانسان العربي إلى سلسلة من الضغوط والاحباطات والعذابات التي لايمكن قهرها أو مواجهتها بسهولة . لهذا استعان بالبعد الغرائبي أو الفنتازي في مواجهة حالة العنف والقهر الانساني اللامعقول عن طريق توظيف الخيال واختراق سكون السطح الواقعي[٤] . فإضفاء بُعداً أسطورياً على الواقع هو محاولة للتخفيف من حدته وبشاعته .

(١) رقصة الجديلة والنهر : ١٠٦ .

(٢) الكاتبة العراقية وفاء عبد الرزاق : الرواية العراقية بعد سنة ٢٠٠٣ صارت لها هوية جديدة من واقع المعاناة والقهر وشرور داعش، حوار أجراه: حميد عقبي ، صحيفة رأي اليوم ، صحيفة عربية مستقلة https://www.raialyoum.com تاريخ الدخول ٢٠٢٣/٧/٢٨

(٣) رقصة الجديلة والنهر: ١٠٦ - ١٠٨.

(٤) ينظر: المقموع والمسكوت عنه في السرد العربي: ٨٦ – ٨٧ .

واستعان الكاتب (وارد بدر السالم) في روايته عذراء سنجار بأسلوب الواقعية السحرية والغرائبية في تناوله لثيمة المرأة لبيان حجم ماتعرضت له من عنف ، لاسيما في شخصية (الحامل) التي لا يذكر الراوي لها اسماً ، هذه المرأة التي قتل تنظيم (داعش) زوجها أمامها وهي حامل في شهرها الأخير ، التي حاول قاتل زوجها أن يتحرش بها ويمد يده عليها فجأة صرخ وهو يسحب يده كالملدوغ فتفتت الرجل كالرمل وسال منه دم كثير ، فقد خرجت من أسفل المرأة حية لالش السوداء ولدغته فقتلته في الحال ، ولم تلد المرأة الحامل حتى بعد مرور أربعة أشهر على شهرها الأخير لتصبح في زمن القص في شهرها الثالث عشر[١] ، ولا تكمن غرائبية هذه المرأة فقط في حملها وحادثة خروج الألفعى من أسفلها وإنما في كلامها مع الحيوانات فهي تجيد الحديث مع الحيوانات (الغراب والصقر والكلب) وهم يتحدثون إليها كذلك [٢]، وتصف المرأة الحامل نفسها:(أنا امرأة الحمل المستحيلة . لن ألد إلا في موعدي ... أنا امرأة الخيال الذي يقتل الواقع لينتصر عليه ويخلقه من جديد بالرغم من قسوته..... قتلوا زوجي ببساطة وتركوني لكوني حاملاً في شهري الأخير لكني لم ألد حتى اليوم بالرغم من مرور أربعة أشهر على حملي القديم وبذلك يكون حملي قد صار ثلاثة عشر شهراً وبطني لم تتوقف عن الانتفاخ ، وهو ما جعلني في مأمن نسبي من زحف عناصر دولة الخلافة الإسلامية على جسدي)[٣] وحمل المرأة الطويل له دلالة رمزية هي لايمكن لحياة جديدة أن تبدأ مع الموت والقتل فجنينها – كما تصفه- (شاهد ولا أريده شهيداً . لهذا ولدته في بطني ولن يرى نور شنكال حتى يجف دمها وتنبت أرضها من جديد بالتين والزيتون)[٤] ، هذه الهالة من الغرائبية التي تحيط بهذه المرأة أعطتها بعداً دلالياً على حرمة النساء والدماء وقدسيتها ، إذ تروي (الحامل) ما حصل بعد قتل زوجها (بقعة دم زوجي في الطارمة تطرد كل داعشي يأتي الى البيت بدعوى التفتيش أو أي شيء آخر...فيها رائحة غريبة طاردة . يشمها القتلة فقط.. رائحة لا نعرفها نحن لكنهم يعرفون قوة نفاذها في أنوفهم وأرواحهم النجسة)[٥] ، فكل ما يخص المرأة الحامل هو سرد غرائبي سواء في أقوالها أو أفعالها ، كون هذا الأسلوب الغرائبي والفنتازي أصبح ضرورة في الروايات التي تهيمن عليها ثيمة العنف والموت والقتل إذ لابد من أن يمتزج الواقع المؤلم بالفنتازي (فالانسان في هذا اللون من السرد المزدوج (الواقعي والغرائبي معاً) يستطيع أن يتحدى الموت والقهر والهزيمة وأن يسخر من كافة الضغوط التي يتعرض لها)[٦] .

(١) ينظر: عذراء سنجار : ١٠١ – ١٠٦ .
(٢) ينظر: المصدر نفسه : ١٣-١٧ .
(٣) عذراء سنجار : ١٠١ – ١٠٢ .
(٤) المصدر نفسه : ١٠٧ .
(٥) عذراء سنجار : ١٠٧ .
(٦) المقموع والمسكوت عنه في السرد العربي: ٨٧ .

وكما ذكرنا آنفاً فإن الكاتب يقوم بتوظيف التقنيات الفنية لخدمة ثيمة الرواية المهيمنة ومن هذه التقنيات (الاستهلال الاقتباسي) في بداية فصول الرواية وفي فصل (بركة الحورية الزرقاء) يستهله الكاتب باقتباس نصي من كتاب (الجلوة الأيزيدي المقدس الفصل ٦/٣) ونص الاقتباس:(أظهِرُ معجزاتي وعجائبي للذين يقبلونها ويطلبونها في وقتها) وهذا الاقتباس الاستهلالي هو معادل موضوعي لدلالة متن الفصل وهي توضيح سر عجائبية المرأة الحامل التي تروي هذا الفصل لتحكي حقيقتها الغرائبية :(أنا سلالة ولست امرأة ذبحوا زوجها...أنا سلالة متوالدة ولاتنتهي ...انها سلالة البقاء والنقاء الأثير... أنا من نسل الحوريات العاشقات ..... أنا من سلالة ذلك الجد الذي ترك لنا إرثاً من الخيال اللانهائي ...جدي كان يقول نحن عابرون في الحياة ولكننا نبقى فيها ولن ننقرض)[١] وتروي (الحامل) بلغة شعرية كيف تكونت سلالتهم العجيبة بزواج جدهم الراعي من إحدى الحوريات في بركة زرقاء وانهم نسل من الجنة توالدوا وانجبوا ذرية توزعت بين الجبال والهضاب والمراعي والوديان[٢]. فالاستهلال الاقتباسي هو علامة رمزية ونص موازي للمتن في دلالته الرمزية التي تحاول الانتصار لأحقية الطائفة الأيزيدية بهذه الأرض وانهم أقدم من وِجد فيها وأنهم باقون برغم كل الإبادات التي تعرضوا لها على مر التاريخ .

يعمل أسلوب السرد الغرائبي على انفتاح النص لتأويلات وقراءات منتجة فهو (يفرض لوناً جديداً من القراءة وضرباً جديداً من القراء الذين يتحولون منتجين فعالين لدلالة السرد ذاته، ومشاركين ايجابيين – وغير سلبيين أو استهلاكيين – للفعل القصصي والانساني)[٣] والغرائبي يضفي دلالة رمزية مضافة للنص فكل حدث غرائبي أو شخصية أو مكان غرائبي هو قيمة رمزية دلالية ، فمثلاً وجود (الصقر) في الرواية وعلاقته العاطفية بالحامل وكلامهم ونظراتهم وقبلاتهم[٤] كل ذلك يدفعنا أن نعد الصقر رمزاً ومعادلاً أو تعويضاً عن زوجها المقتول . فالرمز من التقنيات المهمة التي تم توظيفها في تناول ثيمة المرأة ، لدرجة أن بعض الشخصيات النسائية في الرواية شكلت الرمز الذي تستمد منه الرواية مضمونها وفكرتها الأساس وهو ما نجده في روايتي (عذراء سنجار) و(شظايا فيروز) إذ تشترك الروايتان بفكرة البحث عن فتاة أسيرة عند تنظيم داعش الإرهابي وتنتهي الروايتان دون ايجاد الفتاتين إلا إن خلال رحلة البحث عن الفتاة في الروايتين يتم إنقاذ العديد من الفتيات وتحريرهن من الأسر ، وفي كلا الروايتين ثمة شاب يدفعه الحب للبحث عن حبيبته المفقودة ، ففي رواية (عذراء سنجار) يبحث الفتى (المسلم) - الذي لايُذكَر اسمه في الرواية - عن (نشتمان) الفتاة الإيزيدية السنجارية

(١) عذراء سنجار: ٢١٦- ٢١٨ .

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٢٢١- ٢٢٥ .

(٣) المقموع والمسكوت عنه في السرد العربي: ٩٩ .

(٤) ينظر: عذراء سنجار: ٤٨٠-٤٨١ ، ٤٩٩- ٥٠٠ .

الجميلة مع أبيها وتنتهي الرواية دون أن يجدوا (نشتمان)، لكن الأب يسترد ايمانه ودينه حتى يقوي أمله بإيجاد ابنته . فـ(نشتمان) هي رمز للوطن أو الأرض المسلوبة. أما رواية (شظايا فيروز) فيبحث (مراد) الشاب العربي المسلم من أهالي سنجار عن بائعة البصل الجميلة (فيروز) الإيزيدية المخطوفة لدى تنظيم (داعش) إذ انضم الفتى للتنظيم الإرهابي شكلياً فقط ليعثر على (فيروز) وكأن حبه لها غاية أو معجزة ربانية لإنقاذ شرف إيزيديات أخريات.

ومن التقنيات التي اعتمدها كتاب هذه الروايات)السردية الغنائية(ولا نعني بها بروز العنصر الذاتي أو تغليب الرؤية الذاتية على الموضوعية وإنما نعني بها محاولة الذات الإمساك بأسباب الأزمة ، فبنية السرد الغنائي تهتم بالصورة السردية الغرائبية والتناوب والرمز والتهويمات والاسترسال الحر والتأمل واللغة المكثفة الموحية الرامزة[١]، لذا فإن هذه التقنية السردية ملازمة لسرد الذات المتأزمة لاسيما عندما يكون متعلقاً بثيمة المرأة التي تعرضت للسبي والعنف ، إذ تتحول دينامية السرد إلى السكون عندما تروي (الراهبة نالين) بعد نجاتها من الأسر ولقائها النساء الأيزيديات الناجيات من قبضة داعش وزيارتهن لـ(معبد لالش) ليتعمدن ويغتسلن بمائه (طوبى لكن يا إيزيديات الزمن الجاحد الغادر الكئيب . يا بنات الشمس الجميلات . يا حفيدات التاريخ والدين القديم . ايتها السومريات العظيمات .. ٧٤ خراباً وسبيا على مر التاريخ ولم يقطعوا نسلكنّ ولا دينكنّ العفيف)[٢] ، وأيضاً تتجسد السردية الغنائية في حوار (سربست) والد (نشتمان) عذراء سنجار المخطوفة :(أنا الكائن الوحيد المبا ع على الأرض . ابن المؤامرة والخيانة والأرض المسلوبة والنساء المسبيات. ابن السبي الذي لا ينتهي على مدار الحياة .... أنا المهان أريد صغيرتي ووحيدتي لأهرب من هذه الأرض المسعورة . أرض الدم والبلاء والأديان القاتلة)[٣]، فكلما عظمت المأساة اتجه السرد إلى الغنائية لينطلق من الذاتية إلى الكونية (فالأديب الناضج هو الأديب الذي يحول الخاص إلى عام والجزئي إلى شمولي ، أي يحول الحدث التاريخي إلى حدث فني ذي طابع فلسفي يمتلك القدرة على التعميم والتواصل والتأثير في القراء في مرحلته وفي مراحل تاريخية متعددة وتالية)[٤].

و هذه الغنائية واللغة الشعرية نجدها في العتبات النصية لفصول رواية(رقصة الجديلة والنهر) ، ومن الكلمات الاستهلالية التي تتضمن ثيمة المرأة :(عيناكِ الناعستان ، عيناك العاصفة . أين أجدهما ؟ يبدو أن جمالكِ وجد في مكان أعمى ...للناي عينان ، ولي ألفة الدهور فيهما .-؟؟؟- بضع علامات

(١) ينظر: أنماط الرواية العربية الجديدة ، د. شكري عزيز الماضي ، عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت، رمضان ١٤٢٩ – سبتمبر ٢٠٠٨ : ٣٩ ، ٤٠ .

(٢) عذراء سنجار: ٢٩٥ .

(٣) عذراء سنجار : ٢٨٧ .

(٤) في نظرية الأدب ، د. شكري عزيز الماضي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت - لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٥ : ١٤٧.

لا تجيد الصراخ)[١] وكلما تشتد المأساة يتحول السرد إلى الغنائية ففي الفصل الأخير من الرواية تتجسد اللغة الشعرية بعدما عرفت الفتيات أنهن مجرد أرواح وبعد أن أصبحت كل الاماكن خرساء وجوفاء من أهلها[٢] .

وعبر (تقنية الحوار) تمظهرت ثيمة المرأة وما تتعرض له من عنف السبي ، فالحوار (رديف السرد، وأداة القاص الموازية له ، لإيصال عالمه القصصي الخاص ، ولإبراز خصوصية شخوصه)[٣] ، لاسيما إذا كان هذا الحوار ثنائياً بين شخصيتين متناقضتين تمثل كل واحدة منهما فكراً ونهجاً مختلفاً عن الأخرى ، ففي رواية (شظايا فيروز) يكشف الحوار الذي يدور بين الداعشي (أبو تراب الحجازي)عضو الهيئة الشرعية في التنظيم، والحاج (بومة) المسؤول عن سجلات الوفيات في مدينة الموصل منذ عقود وحتى بعد احتلال داعش للموصل ، عن عمق الاختلاف ليس بين شخصيتين فحسب وإنما بين فكرين ، فكر داعش المتطرف والفكر الإسلامي المعتدل حول ثيمة (سبي النساء) والحوار طويل يمتد لخمس صفحات ،[٤] وهذا الحوار كان وراء تنامي حدث الرواية وإعدام الحاج بومة أمام الناس ، والحوارات كثيرة في الروايات - موضع الدراسة- التي تعري فكر داعش سواء حول ثيمة السبي أو العنف ، لاسيما الحوار الداخلي (المونولوج) فهو أكثر من الحوار الخارجي لأن الشخصيات وتحديداً النسائية (السبايا) كانت تعاني الخوف والعنف فضلاً عن الوحدة والغربة فكانت تناجي ذاتها .

والمرأة في أغلب الروايات عينة الدراسة كانت مركزاً وليست هامشاً ليس على صعيد بناء الحدث وتصاعده فحسب ، وإنما تولت سلطة السرد والحكي في المتن الحكائي ، فعلى الرغم من ان الراوي العليم هو الراوي الرئيس في أغلب الروايات لكن أغلب الروايات استعان كتابها بالشخصيات النسائية في سرد الأحداث لاسيما في الأحداث التي تمس الشخصية الساردة نفسها وماتعرضت له من عنف واغتصاب ، فمثلا في رواية (شظايا فيروز) تروي شخصية (فيروز) تسعة فصول من الرواية كما تروي بعض المخطوفات الأحداث التي مررن بها، وفي رواية (عذراء سنجار) تتولى الشخصيات النسائية سلطة السرد أيضاً مثل شخصية (الحامل) و(الراهبة نالين) و (نارين) وغيرهن من المخطوفات، أما رواية (رقصة الجديلة والنهر) فإنها برغم اعتماد كاتبتها على تقنية الراوي العليم فإن الشخصيات النسائية هي الغالبة في الرواية ولهن دور في سرد الأحداث .

---

(١) رقصة الجديلة والنهر: ٤١ . وينظر أيضاً: ٢٥ .

(٢) ينظر: رقصة الجديلة والنهر : ١٢٥- ١٣٢ .

(٣) البنى السردية ، دراسات تطبيقية في القصة القصيرة الأردنية ، عبد الله رضوان ، منشورات رابطة الكتاب الأردنيين ، ط١ ، ١٩٩٥ : ٦٧ .

(٤) ينظر: شظايا فيروز : ٢٣١ – ٢٣٧ .

المبحث الثالث : ثيمة الهُوية الثقافية والحضارية والدينية:

الهُوية في أبسط تعريف لها : (هي الكيفية التي يُعرِّف الناس بها ذواتهم أو أمتهم ، وتتخذ اللغة والعرف والثقافة والدين ...أشكالاً لها)[١] ، فكل جماعة بشرية تعيش في فضاء جغرافي محدد لها هويتها الثقافية التي يعززها الانتماء للأرض والتاريخ والدين ، وهذا الانتماء و(الاحساس بالهوية الثقافية والوعي بها لايصطنع أو يُصنع صنعاً ، بل يوجد دائماً كالمكبوت في حالة الكُمون . يستيقظ ويشتد ، في ظروف التحولات والانتقالات الكبرى التي تجتازها الشعوب ، وتتخللها الأزمات والتصدعات الاجتماعية والنكسات . ذلك لأن التشبث بالهوية الثقافية في هذه الحالة يكون بمنزلة الملجأ والملاذ الآمن)[٢] ؛ لهذا نجد لثيمة الهوية حضوراً واضحاً في الروايات التي تناولت موضوعة إرهاب داعش إذ فضلاً عما قام به هذا التنظيم من اعمال عنف وقتل وسبي ، فإنه استهدف الإنسان في هويته الثقافية والدينية والحضارية والتاريخية ، وانتزع منه وطنه ومكانه (مدينته ، أو قريته) ليعد أبشع وأقذر احتلال في التاريخ ، إذ تعرضت عشرات الجوامع والمراقد والأضرحة الدينية والمعالم الأثرية للتدمير والتفجير والنسف التي تعد من أهم المعالم الحضارية والتاريخية على مستوى العالم[٣]. فضلًا عن عمليات النزوح والتهجير القسري ومحاولة إبادة مكون اجتماعي عريق من مكونات المجتمع العراقي وهو المكون الإيزيدي إذ تعرضوا لإبادة جسدية ودينية وتاريخية وثقافية . وإزاء هذا كله لم

---

(١) الهويات اللغوية في المغرب من التعايش إلى التصادم ، رشيد بلحبيب ، ضمن كتاب : اللغة والهوية في الوطن العربي إشكاليات تاريخية وثقافية وسياسية ، مجموعة مؤلفين ، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ، بيروت ، ط١ ، كانون الثاني /يناير،٢٠١٣ : ٢٤٧ .

(٢) في إشكالية اللغة والهوية والتنوع الثقافي ، عبد الرزاق الدواي ، ضمن كتاب:اللغة والهوية في الوطن العربي:٢٢٧ .

(٣) صرح (إحسان فتحي) الخبير العراقي في تخطيط المدن والحفاظ على التراث وأهم المهندسين المعماريين في العراق في ندوة مركز الاورفلي للفنون في عمان «شيء مؤلم ولا يصدق، كمية التدمير المتعمد والمنهجي الجاهل الذي حصل في مدينة الموصل العريقة على يد تنظيم (داعش) التكفيري الإجرامي» ، وأضاف فتحي أن التنظيم «دمر أغلب الجوامع والمراقد والأضرحة في الموصل كجامع وضريح الشيخ فتحي الذي يعود تاريخه إلى عام ١٠٥٠ ميلادية، وجامع ومرقد الشيخ قضيب البان الذي يعود تاريخه إلى عام ١١٥٠ ميلادية، ومرقد الإمام الباهر الذي يعود تاريخه إلى عام ١٢٤٠ ميلادية وضريح الإمام يحيى أبو القاسم الذي يعود تاريخه إلى ١٢٤٠ وضريح الإمام عون الدين الذي يعود تاريخه إلى ١٢٤٨".
فإنه «تم كذلك تدمير جامع النبي يونس المشيد على تلة آشورية ويعود تاريخه إلى عام ١٣٦٥ ميلادية، وجامع النبي جرجيس الذي يعود تاريخه إلى عام ١٤٠٠ ميلادية وجامع النبي شيت الذي يعود تاريخه إلى عام ١٦٤٧ ميلادية". وكذلك فإن «من أهم المعالم الأخرى التي تم تفجيرها قبر المؤرخ ابن الأثير الجزري الموصلي (١١٦٠-١٢٣٢)، وتمثالي الشاعر أبي تمام (٨٠٣-٨٤٥) وعثمان الموصلي (١٨٥٤-١٩٢٣) الشاعر والعالم بفنون الموسيقى". وأوضح فتحي أن «أهم وأقدم الكنائس في العالم المهددة بالزوال موجودة في الموصل، ككنيسة شمعون الصفا التي يعود تاريخها إلى عام ٣٠٠ ميلادية، وكنيسة مار أحوديني التي يعود تاريخها إلى عام ٥٧٥ ميلادية، وكنيسة الطاهرة العليا التي يعود تاريخها إلى عام ١٢٥٠ ميلادية".
وعد الخبير العراقي أن «من أولويات هذا التنظيم هو التدمير، لم يحصل في التاريخ مثل هذا الإصرار على تدمير التاريخ بكل أنواعه وتحويل آثار تعود إلى مئات السنين إلى ركام وحجر". ينظر: (داعش) دمر التاريخ في الموصل / العربية- الحدث ٢٠١٤/٩/٤ تاريخ الدخول : ٢٠٢٣/٨/٢ https://www.alarabiya.net/arab-and-world/iraq

يكن أمام كُتّاب الرواية تجاوزه وإنما جاءت رواياتهم بمثابة محاولة تشبث بالهوية الثقافية المسلوبة .

لم تخلُ رواية من روايات موضع الدراسة من ثيمة الهوية الثقافية والحضارية لاسيما موضوعة هدم الآثار لدرجة إن رواية (حراس البوابة) اتخذتها ثيمة أساسية لها دون باقي الثيمات ، ابتداءً من عنوانها الذي يمثل بؤرة دلالية وموجهاً سردياً لقراءة الرواية ، والمراد به (الثيران المجنحة)[١] التي تعد من أهم معالم الحضارة الآشورية في شمال بلاد مابين النهرين وحارسة لبوابات المدن والقصور الآشورية . وكاتب الرواية بوصفه عارفاً باستراتيجيات العتبات النصية بعد أن يذكر اقتباساً استهلالياً للرواية من (التوراة .. سفر إشعياء) يفتتح روايته بالآتي:(في ملحمة جلجامش هنالك نص مفقود في الوسط . نص محاه الزمن ، أو ربما محاه أحدهم بيده . غزوات عديدة تعرضت لها أور وبابل ، فقدتا خلال تلك الأيام الكثير من كنوزهما ، واندثرت ثقافة تلك المدن وغابت تحت الرمال الصفراء . نينوى لم تسلم هي الأخرى من حوافر الخيول السوداء. تلك كانت ملحمة.)[٢] . فهذا النص الافتتاحي يوجه متلقي الرواية نحو ثيمتها الرئيسة وهي سرقة الآثار وهدمها وسلب الهوية الحضارية على مر التاريخ . تُروى أحداث الرواية على لسان الراوي البطل (سالم) الشاب الحاصل على شهادة الماجستير في علم الآثار ويعيش في مدينة بغداد ، يبدأ السرد بحلم وهو (كابوس) دائمي ملازم للبطل فهو يرى في كل مرة كائناً غريباً له حوافر صخرية يرفسه على وجهه بقوة دون أن يترك له مجالاً ليراه يغادر كالبرق تاركاً وراءه غباراً متناثراً[٣] . تقدم الرواية ثيمة الهوية الحضارية والثقافية بالاعتماد على تقنية (التوازي الزمني والمكاني) عبر خطي سرد متوازيين بين عالمين مختلفين : ماضٍ قديم (عام ١٨٤٨) وحاضر الشخصية إبان احتلال داعش الارهابي لثلاث محافظات عراقية وما سبقها من سنوات الاقتتال

(١) الثور المجنح: ويسمى (شيدو لاموسو) تمثال ضخم يبلغ طوله ٤،٤٢ م ويزن من ٣٠ – ٤٠ طناً وهو فرد من زوج يحرس باباً من أبواب سور مدينة (دور شروكين) التي شيدها الملك الآشوري سرجون الثاني (٧٢١- ٧٠٥)ق.م ويرمز إلى القوة والحكمة والشجاعة والسمو ، والثور المجنح رمز من رموز الحضارة الآشورية التي تعتمد القوة كمبدأ في سياستها وانتشارها ، والثور المجنح نوع من الكائنات الاسطورية المختلطة التكوين فقد ضم النحات الآشوري رأس انسان إلى جسد ثور وجناحي نسر، تدعى هذه الكائنات الأسطورية لاماسو وتعني الكائنات الحارسة، وظيفتها توفير حماية كونية لقصور الامبراطورية الآشورية الضخمة وعواصمها الكبيرة، فقد لجأ سكان وادي الرافدين إلى طرق مختلفة لتحصين عواصمهم ومدنهم وقصورهم لحماية أنفسهم ووقايتها من الشرور والأمراض والأخطار التي كانت تهددهم بين الحين والآخر، ولكن التحصين الأهم الذي حدث في تاريخ وادي الرافدين هو حماية مداخل عواصمهم ومدنهم وقصورهم بتماثيل الثيران المجنحة ، إذ أقامها الآشوريون عند مداخل قصورهم وبوابات مدنهم، وكانت وظيفة هذه المخلوقات المركبة وقائية تهدف إلى حماية الملك والناس من الشر والأرواح الشريرة والتأثير فيهم ، فهو قوة تجمع أربعة عناصر تكون الكمال (الأسد للشجاعة والثور للقوة والنسر للمجد والانسان للحكمة) . ينظر: الثور المجنح في الحضارة الآشورية قراءة سيميائية ، د. حيدر فاضل عباس ، مجلة الباحث الإعلامي ، جامعة بغداد – كلية الإعلام ، ع ٣٣- ٣٤ ، ٢٠١٦: ٢٨٠- ٢٨١ . وينظر: https://ar.irakipedia.org تاريخ الدخول ٢٠٢٣/٨/٣

(٢) حراس البوابة : ٧ .

(٣) ينظر : حراس البوابة : ٧- ٩ .

الطائفي ، وعبر شخصيتين مختلفتين كل شخصية تعيش في زمن مختلف عن الآخر هما: شخصية (هنري أوستن لايارد) عالم الآثار البريطاني مكتشف الثور المجنح ورحلته من بريطانيا إلى الموصل نحو اكتشافه هذا ، وشخصية (سالم) الذي يعيش في بغداد الذي يحمل همّاً حضارياً حول ضياع آثار البلد ، ثم تلتقي الشخصيتان عبر (تقنية الحلم) ليجد الراوي البطل (سالم) نفسه في مدينة الموصل لكن في زمن آخر :(لم أميز المدة التي قضيتها في السرير ...كانت مدة طويلة كما أظن... أحسست بحجارة خشنة توكزني من قدمي لأستيقظ .. فتحت عيني بصعوبة فرأيت أمامي كائناً ضخم الجثة متلفعاً بغمامة ضبابية منعتني كالعادة من تمييز شكله . بدى كحيوان كبير ذي جناحين عريضين لو نشرهما على جانبيه لحطم جدران الغرفة . حاولت أن أصرخ أو أهرب لكنني فقدت السيطرة على جسدي . كأن شللاً أصاب أطرافي . كاد قلبي أن ينفجر بين أضلاعي من شدة الخوف ..... سلب ذلك الكائن مني قدرتي على الحركة والكلام ! وكأنه شلّ حتى لساني!..... رفع ذلك الكائن ساقيه الأماميتين فرأيت أعضائه العملاقة . رفس السرير بقوة خرافية . ارتطم السرير بالجدار وغبت عن الوعي .. لاأدري ، أو لا أذكر ماحدث بعد ذلك ؟ فتحت عيني بصعوبة بسبب الصداع الذي ضرب رأسي . الألم يكاد يفجر جبيني . انتصبت واقفاً بصعوبة . لم أكن على أرضية الغرفة. لم أكن في المنزل ! لم أستوعب كيف خرجت من البيت ورميَ بي على قارعة الطريق ! نفضت التراب عن ثيابي وأنا أنظر من حولي دون أن أفهم مايحدث لي.....ماالذي أتى بي إلى هنا؟ أين أنا ؟ هل أنا بكابوس؟)[1] . لقد وظفت الرواية (تقنية الحلم) لينتقل الراوي البطل إلى زمن ومكان اكتشاف الثور المجنح وتهريبه إلى بريطانيا ليكشف عن حقبة مهمة من تاريخ العراق التي تم فيها اكتشاف آثار الحضارة الآشورية في مدينة الموصل على يد البعثات الأوربية ومباركة السلطات العثمانية وأمام مرأى الناس. فقد اتخذت الرواية من التاريخ قناعاً وتقنية فنية وظفتها لخدمة ثيمة استلاب الهوية الثقافية ، وذلك بالاستعانة بوقائع وتفاصيل رحلة عالم الآثار (هنري لايارد) إلى مدينة الموصل عام ١٨٤٨ التابعة آنذاك للدولة العثمانية بدعوة من القنصل البريطاني العام في القسطنطينية للبحث والتنقيب عن الآثار العراقية بعد خبر عثور القنصل الفرنسي في الموصل المسيو (بول اميل بوتا) على أربع قطع أثرية ضخمة في مدينة نينوى التاريخية ، ليبدأ (لايارد) رحلة التنقيب بمساعدة (هرمز رسام) وهو عالم آشوريات ، آشوري الأصل من مدينة الموصل .

فالرواية التي تتخذ من التاريخ قناعاً (تسعى إلى تفسير الواقع المعيش ، لكنها تهرب إلى فترات مشابهة للحظة الحاضرة فتقوم بما يسمى "الاسقاط التاريخي" ... تسعى إلى تفسير الحاضر

(١) حراس البوابة : ١٢٥- ١٢٨ .

بالماضي)[١] والكائن العجائبي الذي ظهر للبطل هو الثور المجنح ركله ركلة أعادته إلى الماضي ليرى ما فعله جده بمساعدة الاجنبي على سرقته إذ يخاطبه في نهاية الحلم:(- أنا الذي رمى بك هنا كي ترى جدك بأم عينيك . والآن وقد رأيت ما رأيت... افعل ما تطهر به ذنب أجدادك...)[٢]، فقد تظافر التاريخ مع الحلم والمدهش والغرائبي لتشكيل ثيمة الرواية ببناء سردي متميز يكشف عن تكرار محاولات سلب وسرقة الآثار على مر التاريخ وكيف يتشابه السُرّاق والمتطرفون والجهلة بين الماضي والحاضر ، إذ يصف الراوي البطل(سالم) ردة فعل رجال الدين المتطرفين في القرن التاسع عشر عندما رأوا الثور المجنح وكيف يشبهون تنظيم داعش في عدّهم الآثار أصناماً عبر حواره معهم : (- إنه صنم ...هذا صنم من عمل الكفار .يجب أن نطبق عليه سنة الرسول الأعظم عليه الصلاة والسلام. .....

- حينما فتح الرسول الأعظم مكة المكرمة طهرها من رجس الأوثان ..كسر الأصنام وألقى بها في حفرة من لهب.....

- انتظروا ... توقفوا أرجوكم .. كسر الرسول الأصنام لأنها كانت تعبد من دون الله . وكذلك فعل إبراهيم من قبل . كان قومه يعبدون الأصنام فكسرها، لكن ما من أحد يعبد هذا التمثال، فلماذا تصرون على تكسيره؟! ..... كيف لي أن أقنعهم بأنهم إن كسروه فسيحولون المدينة إلى أرض لاروح فيها . أرض مسلوبة التاريخ)[٣] ، ويربط الراوي بين هؤلاء المتطرفين ومافعله داعش الارهابي بتحطيم الثور المجنح وتفجير تل التوبة بأنهم يفعلون مالم يتمكن فعله أجداهم ، (سيتحينون الفرصة للعودة من جديد إلى التل . ومن لم يعود لتحطيمه سيترك لأحفاده شرف تلك المهمة ... سيعودون ليبروا بوعيدهم..أقسموا بأن يكسروا تلك التماثيل ولم ينسوا قسمهم . لايبرد قلب من يسعى للثأر . سيكون انتقاماً دامياً تتكلم عنه الأجيال دون أن يغيب في صفحات النسيان المطوية . لن تكون الموصل لوحدها من سيتضرر بهذا الانتقام . وسينظر إليها جيرانها بين خائف وشامت. سيكحلون جرائمهم بعبارة الله أكبر .....)[٤] .

ويستغل الكاتب (تقنية التوازي) في السرد بين عالمين مختلفين في عمليات تدمير الآثار ونهبها ومنها حدث تفجير مرقد النبي يونس على يد داعش ، ومحاولات نبش القبر في العهد العثماني ، الفرق بين الحدثين ان الأول ترك حفرة في التل بسعة مترين تتسرب منها الأمطار دون اذن إلى داخل التل لتمحي ما كتب من ألواح في داخل التل لتضيع معها أسرار دونها رجال عاشوا هناك منذ فجر

(١) في نظرية الأدب، شكري عزيز الماضي: ١٥٢ .
(٢) حراس البوابة : ٢٥٥ – ٢٥٦ .
(٣) حراس البوابة : ١٨٥- ١٨٧ .
(٤) حراس البوابة : ١٨٩ .

التاريخ[١] . أما حدث الحاضر فقد تحول تل التوبة وقبر النبي يونس الرابض فوقه منذ الاف السنين إلى كومة تراب منثور بتفجيره ليغادر إلى غير عودة.[٢] وأيضا من الأحداث التي تبنى بتقنية التوازي بين الماضي والحاضر سرقة الآثار وتهريبها إلى خارج العراق في زمن الدولة العثمانية والزمن الحاضر بعد الاجتياح الامريكي وبعد اجتياح داعش[٣] .

وبلغة شعرية وسرد غنائي يصف الراوي البطل (سالم) سرقة (الثور المجنح) : (تحرر الثور المجنح تماماً من تل النمرود وأكوام الرمال أو بالأحرى لم يكن تحرراً بقدر ما كان نفياً . لم يعد التل بالنسبة للثور المجنح غير ذكرى استمرت لآلاف السنين ... ذكرى وطن . كان هنالك تل في يوم ما واسمه النمرود. تبخر التل وأصبح تراباً يتطاير في الهواء وحلّ بدلاً منه إله مخيف اسمه الثور المجنح..... رأيت مقاومته اليائسة للسواعد المفتولة وهي تسحبه . نظرات الغضب لم تفارق وجهه ..... وبعد لحظات رأيته يستسلم ويهوي أرضاً . ارتطم على جانبه الأيمن ..ركضت نحوه وهو ممدد أرضاً وقد دوى صوت ارتطامه في أرجاء الوادي كدوى قنبلة . لمسته بيدي كمن يواسي رجلاً مريضاً . كنت أخشى أن يكون قد انكسر ، لكنه لم يتأثر من تلك السقطة. كنت أرى في وقوعه أرضاً وفي السبي الذي يتعرض له كنكبة أبدية . تاريخ يشنق بالحبال، يسحل بسواعد رجاله و....يسقط أرضاً...)[٤] وهذه اللغة الشعرية يستعين بها الراوي عندما يتعلق السرد بسرقة الثور المجنح[٥].

كان لثيمة اغتيال الهوية الحضارية للبلد عبر هدم الآثار حضوراً واضحاً في روايات الدراسة ، وعادة ما يتم تناول هذه الثيمة عبر تقنيات فنية بعيد عن التقريرية والمباشرة سواء عن طريق الحوار أو الاستباق ، أو الغرائبية . فعبر تقنية الحوار تكشف رواية (عذراء سنجار) عن سطحية الفكر الداعشي وتخلفه، وهو الحوار الذي يدور بين (دلشاد) الشاب الايزيدي خريج قسم التاريخ في جامعة الموصل الذي غيّر هويته ظاهرياً خوفاً من بطش داعش وتحول إلى (عبدالحافظ المسلم) ، والداعشي الأفغاني حول تاريخ سنجار التي تعد ثاني أقدم مدينة في الشرق الأوسط بعد مدينة دمشق وكيف تهدمت وتعرضت للاغتيال الحضاري لاسيما منارتها الأثرية التي يبلغ عمرها أكثر ٧٠٠ سنة ، ففي هذا الحوار يتضح عمق الهوية الحضارية لمدينة سنجار وابنائها وسطحية الفكر الداعشي الذي يعد تاريخ البلد وآثاره مجرد خرافات[٦]. وبالتقنية نفسها وعبر كلام الشخصية تكشف رواية (شظايا

(١) ينظر: المصدر نفسه : ٦٥ – ٦٦ .

(٢) ينظر: حراس البوابة : ١٣٩-١٤٠ .

(٣) ينظر: المصدر نفسه : على سبيل المثال لاالحصر : ٥٣ ، ٦٠ ، ٩٩ ، ١٩٢ – ١٩٣ ، ٢٠٧ ، ٢٣٧ ، ٢٤٨ .

(٤) حراس البوابة : ٢٠٥ .

(٥) ينظر: المصدر نفسه : ٢٠٧ ، ٢٢٣ .

(٦) ينظر: عذراء سنجار : ٨١- ٨٨ . وتتطرق الرواية أيضاً لتفجير المراقد الدينية لمختلف الطوائف كتفجير معابد الايزيديين و وكنيسة السيدة العذراء ومراقد المسلمين كمرقد السيدة زينب . ينظرعلى سبيل المثال لاالحصر: ٣٢ .

فيروز) أيضاً عن تلك السطحية والتطرف وموقفه من الآثار لاسيما (قبر النبي يونس) عندما يقوم (ابو رواحة) الداعشي بالشرح لأعضاء التنظيم عن تاريخ قبر النبي يونس منذ بنائه وحتى لحظة تدميره[١] كاشفاً عن تناقض الفكر الداعشي في تهديمه للآثار وبيعه للقطع الأثرية وعدّها غنائم وموروداً مالياً لدولة خلافتهم : (تحفظ غنائم الآثار متحف الموصل أو المستظهرة من قصور الوثنيين ، وكذلك المخطوطات من مكتبات المرتدين ولا يتم التصرف بها إلا بعد تنفيذ إرادة أمير المؤمنين سيدنا أبو بكر البغدادي بتدمير معالم الشرك وعبادة الأصنام ، في النمرود والحضر والمتحف ، وتصويرها لكي يعتبر الناس في الأرجاء.ذلك سيلفت أنظار الكفار في كل العالم إلى الآثار ، وستحشر منظمات دولية كاليونسكو أنفها في الموضوع ، مما سيؤدي إن شاء الله تعالى إلى رفع قيمة غنائمنا ، وبيعها سيأتي بمردود مالي وفير لبيت المال)[٢] .

ويتم توظيف (تقنية الحوار) في هذه الروايات لبيان عمق الهوية الوطنية ووحدة المكونات المجتمع العراقي ولاسيما الموصلي فالكل يشعر بالانتماء للمدينة الموصل بكل تفصيلاتها وامكنتها بغض عن النظر عن ديانته وقوميته ، ومثال ذلك الحوار الذي يجمع شخصيات رواية(شتات نينوى) وهم : الخالة شكرية المسيحية ، وابنها خضر ، والراوي البطل احمد ، حول استلاب داعش لمدينتهم الموصل وتهديم معالمها الحضارية والتاريخية والدينية وتهجير ابنائها وشتاتهم وهو حوار مؤلم يعبر عن حزن المسيحيين على هدم الجوامع والمزارات كونها تمثل حضارة مدينة وليست حكراً لفئة معينة [٣] . ومثل هذا الحوار كلام بطلة رواية (وشم الطائر) (هيلين) مع أخيها (آزاد) حول حرق داعش لمكتبة الموصل المركزية وتحول كتبها النادرة ومخطوطاتها التاريخية إلى رماد وتشبّه فعلتهم بفعلة هولاكو الذي غزا بغداد ورمى بكتبها في نهر دجلة[٤].

وتتناول الروايات ثيمة الهوية الحضارية من خلال تأثير هدم الآثار في هوية المدينة والبلد والأشخاص إذ يصف الراوي في رواية (شظايا فيروز) ردة فعل البطل (مراد) عند وصوله لمدينة الموصل بعد احتلال داعش وكيف صُدِم بمنظر الآثار المهدمة : (صُدِم في يوم وصوله الأول للمدينة بمنظر تل التوبة الخالي من بناية جامع النبي يونس ، مع أنه اطلع مراراً وتكراراً على مشهد تفجيره الموجع في نشرات الأخبار . لكن وقوفه على رصيف الشارع المقابل ، وأمامه ذلك الفراغ الهائل في أعلى التل ، حيث كانت المنارة والقباب المتعددة منذ مئات السنين ، جعله يشعر بأن ذلك حدث للتو وليس

(١) ينظر: شظايا فيروز : ١٢١ – ١٢٣ .

(٢) شظايا فيروز: ١٢٣ – ١٢٤ . والرواية تكشف عن استغلال (داعش) للآثار وبيعها وتهريبها وسرقتهم للثروة النفطية وبيعها. ينظر: على سبيل المثال لاالحصر : ١٥٨ ، ١٥٩ ، ٢٥١ – ٢٥٢ .

(٣) ينظر: شتات نينوى : ٣١٥ - ٣٢٠ .

(٤) ينظر: وشم الطائر: ١٧٥ .

قبل أسابيع . تكرر هذا عند تجواله في الجزء الآخر القديم من المدينة ، فلم يكن تمثال أبي تمام في محله عند مدخل سوق باب الطوب ، واختفى تمثال مريم العذراء من فوق مبنى كنيسة الطاهرة وقبر المؤرخ الإسلامي ابن الأثير ، الذي كان يحتل وسط الطريق قرب الملعب الكبير . ولم يبق من نصب الموسيقي الملا عثمان الموصلي قرب محطة القطار سوى قاعدته الكونكريتية المربعة)[1] ، فالهوية الحضارية في هذه الروايات هي هوية الأمكنة وهي تتعرض للاستلاب والتغيير مما يؤدي إلى اغتراب الفرد وضياع هويته لاسيما إذا كان هذا المكان فاعلاً في حياة الشخوص كمحلة (الشيخ فتحي) في رواية (شتات نينوى) فهذا المكان الذي يحتض مزار الشيخ فتحي ليس مجرد مكان إنما تاريخ وذكريات لساكنيه ، ويصف الراوي البطل - وهو أحد أبناء هذه المحلة – مشاعره وهو يرى (الموصل وحواضرها تتحول إلى كومة أحجار تدمي القلب . ابتدأ الأمر بحبيب قلب محلتي ، ومزارها وحارسها : (الشيخ فتحي)...وصلت إلى المزار ...وشاهدت ما آلمني .تحول المبنى كله إلى كومة حجارة...لم تسلم حتى الأحجار ، لم تسلم الذكريات ، لم تسلم الأحلام...أشعر بألم في صدري . هناك عشش حزن عجيب ، وخيبة فوق الوصف . في محلة الشيخ فتحي سمعت صوت الأطفال يقول وداعاً يا شيخ فتحي، رأيت الكبار يتعثرون بالخيبة والصدمة . شممت عطر الأسى والدمع الذي فاح من جدران وعوجات المحلة التي خسرت حاميها)[2] فالمفردات (تدمي ، آلمني، أشعر بألم في صدري، عشش حزن عجيب، خيبة ،الصدمة، الأسى ،الدمع) كلها توضح حجم المأساة والاغتراب النفسي والمكاني[3] ، ولأهمية هذا المكان بالنسبة للبطل يستعمل الراوي العليم في حديثه عن هدم المزار (تقنية الاستباق) عند زيارته له قبل حدث تفجيره : (للأسف كانت هذه المرة الأخيرة التي سأزور المزار ، سيختفي عن وجه الأرض ، على الرغم من أن أجداد أجدادي أحبوا وجوده ،.....وهذا حديث مؤلم، مؤلم جداً ، سيأتي بعد حين)[4] ونجد تقنية الاستباق كذلك في رواية (وشم الطائر) في حوار أحد اعضاء تنظيم داعش الارهابي مع الأسرى المحتجزين في قلعة تلعفر :(هذه القلعة هي إحدى دور الكفر لذلك سنحطمها بإذن الله . الكفار سمّوا هذا معبد عشتار لأنهم كانوا لايعرفون بوجود الله فيعبدون آلهة من صنعهم)[5] ، وأيضاً يوظف الراوي العليم (تقنية الحلم) للتمسك بالهوية الحضارية فالاماكن التاريخية وان تهدمت فهي عالقة في الذاكرة واللاشعور وهي جزء من الهوية الوطنية:(بكينا كثيراً ، وسألنا أنفسنا لماذا انهار عالمنا وبأي ذنب ! نمت بعد أرق

(١) شظايا فيروز : ٩٠ – ٩١ .

(٢) شتات نينوى : ٢٨٧ – ٢٨٨ .

(٣) الشيء نفسه في وصف تفجير مرقد النبي يونس . ينظر: ٢٩١ .

(٤) شتات نينوى : ٢٤٨ .

(٥) وشم الطائر: ١٤٩ .

طويل ، وفي المنام زارتني أمي ، ابتسمت لي وأخبرتني أنها ذاهبة لتزور مرقد الشيخ فتحي)[١].

وبتقنية الغرائبي وحضور اللغة الشعرية تتناول رواية (رقصة الجديلة والنهر) ثيمة استلاب الهوية الحضارية بتدمير آثار البلد :(لم ترتعش لهم يد وهم ينبشون بها قبور الأنبياء ..... ردموها بأقدامهم وأطاحوا بصلبان الكنائس ، يركلونها بأقدامهم ، ..... تشفياً بتلك المدينة العريقة...طاف الملاك حائراً حول الآثار الآشورية المتهدمة ، وأطلق صرخة كبرى ، ساعة ردمها تعالت أصوات أخرى...وعلت كما ترنيمة صلاة كنائسية وهم يحرقون الكتب والمخطوطات النادرة في المتاحف. زعيق وغضب يملأ المكان ، والملاك يمر على الوحوش النائمين من تعب الهدم ، وينتف لحاهم وشواربهم....)[٢]. إن ما فعله تنظيم داعش من هدم ونسف للأمكنة الأثرية والمراقد المقدسة هو ليس محاولة سلب هوية تلك الأمكنة فحسب و إنما إطفاء الحياة فيها وقتل لذاكرة المكان المحملة بالتاريخ والجمال .

ومن تمظهرات ثيمة الهوية إشارة الروايات إلى محنة الوطن المسلوب واغتيال الحياة المدنية والحضارية وتهجير الناس من مدنهم وقراهم قسراً أو خوفاً ، فنجد أغلب الروايات تسلط الضوء مثلاً على وضع الموصل أو سنجار أو القرى الأخرى بعد احتلال داعش وكيف كانت قبل ذلك[٣] . وكذلك تمظهرت الهوية في الإشارة إلى تغيير الهوية الدينية مثلما حصل مع الإيزيديين عندما أجبرهم تنظيم داعش على تغيير دينهم أو القتل مما اضطر الكثير منهم تغيير ديانته ظاهرياً لنجد في أغلب الروايات ثمة شخصيات تعاني مسخاً وتشويهاً في هويتها بسبب اضطرارهم خوفاً من البطش والقتل إلى تغيير ديانتهم ظاهرياً نحو شخصية بطل (عذراء سنجار) الإيزيدي (سربست) الذي تحول إلى المسلم (آزاد) ليبحث عن ابنته المخطوفة(نشتمان) فتغيير الدين هو تغيير للهوية ويصف (سربست) إحساسه عند تغيير دينه:(عندما تغير دينك لسبب ما تصبح كائناً آخر . تنغمر بشعور لا تعرفه على وجه اليقين وأنت تمارسه كما لو إنك في حفلة ختان وانت الراقص الوحيد فيها ، وربما يحدث العكس إذ تكون أنت المختون الوحيد في حفلة يرقص فيها الجميع..في الأربعينات لا يمكن أن تختار ديناً جديداً .تضحك على نفسك... الدين سليقة وفطرة قبل أن يكون طقوساً ورتابة)[٤] ، وتمظهرت الهوية الدينية عبر تقنية الحوار بين الشخصيات حول الأديان و اهتزار الهوية الدينية والقومية[٥]. وتضمنت الرواية شخصيات عانت تغيير الهوية وهو سخصية (دلشاد) الأيزيدي الذي أسلم ظاهرياً ليصبح

(١) شتات نينوى : ٢٩٠ .

(٢) رقصة الجديلة والنهر : ٤١ – ٤٣ .

(٣) ينظر: عذراء سنجار :على سبيل المثال لا الحصر : ٣٣ ، ٣٩ ، ٦٦ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ١٠٠ ، ١٤٠ ، ٢٠٩ ، ٢٣٣ ، ٤٩٤. وينظر: حراس البوابة : ٥١ ، ٥٧ ، ١٣٩ . شظايا فيروز: ١٩٨ ، ١٦٤ . وينظر: رقصة الجديلة والنهر: ٣٥ ، ٤١ ، ٤٤ ، ٧٤، ٧٧ . وينظر: ٢١٩ ، ٢٦٥ ، ٢٧٦ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٣٣٠ ، ٢٦٦ ، ٢٩٤ ، ٣٢٩ ، ٣٤٠ .

(٤) عذراء سنجار : ٨٩ – ٩٠ .

(٥) ينظر: المصدر نفسه: ١٦٧ ، ١٨٩ ، ١٩١ ، ٣٢٠ – ٣٢٤ ، ٤٨٥ ، ٥٠٢ – ٥٠٣ .

(عبد الحافظ)، وشخصية (الفتى) المسلم الذي تظاهر بالانتماء لتنظيم داعش ، وشخصية (سالار) الأيزيدي الذي أصبح (عبدالله) وكل هذه الشخصيات مأزومة تعاني سلب الهوية[١] . وتضمنت الروايات الأخرى مثل هذه الشخصيات كشخصية (آزاد) توأم (هيلين) بطلة رواية (وشم الطائر) الذي انضم إلى تنظيم داعش ظاهرياً ، وشخصية (مراد) المسلم في رواية (شظايا فيروز) الذي أصبح عضواً في تنظيم داعش للبحث عن (فيروز) ومساعدة الإيزيديات بتحريرهن من الأسر والسبي .

اشتركت أغلب روايات الدراسة في ثيمة مهمة هي الانتصار للهوية الإيزيدية بوصفهم كياناً له وجود وليسوا هامشاً ، وقد تجلت هذه الثيمة عبر التركيز على ماتعرض له هذا المكون من ظلم وعنف ليصبح المكون الإيزيدي هو البطل المشترك بين كل الروايات ، وحاولت الروايات الربط بين ماتعرض له الإيزيديين على يد داعش الإرهابي وماتعرض له من غزوات خلال التاريخ إذ يعد غزو داعش الغزو ٧٤ لهذا المكون فضلاً عن الإشارة لما تعرضت له (سنجار) موطن الإيزيديين[٢] . ومن مظاهر الانتصار للهوية الإيزيدية تركيز الروايات على ايمان الإيزيديين بالله وبأنهم طائفة موحدة ، وقد وظفت رواية (عذراء سنجار) تقنية (التعالق النصي) والانفتاح على الخطابات الأخرى لاسيما الوثائق والرسائل والصور ومواقع التواصل الاجتماعي لتكون مصدراً من مصادر السرد فقد تضمنت الرواية تعليقات لأشخاص بصورهم واسمائهم حول الديانة الإيزيدية وتاريخها وهويتها وهي تقنية ذكية وظفها الكاتب لتعطي حرية أكثر في الطرح والتعبير وتعددية في السرد.[٣]

وقد ربطت بعض الروايات بين الميثيولوجيا والسرد عبر الإشارة إلى المعتقدات الشعبية والموروث الشعبي للمكون الإيزيدي لتعزيز هويته والانتصار لها والإبانة عن خصوصية عاداته ومعتقداته .

* * *

(١) ينظر: المصدر نفسه : ٤٣ ، ٨١ ، ٨٦ ، ١٢٤ ، ٢٥٢ - ٢٥٣ .

(٢) ينظر : عذراء سنجار : ٣٣ ، ٣٩ ، ٦٦ ، ٧٢ ، ٧٩ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ١٨٩ ، ٢٥٣ – ٢٥٤ . وينظر: حراس البوابة: ٩٥، ٩٦ ، ١٥٨ ، ١٦٩. وينظر: شظايا فيروز: ١٦٩ . وينظر: وشم الطائر: ١٢١ ، وينظر: رقصة الجديلة والنهر: ١١، ١١٢ ، وينظر: شتات نينوى: ٢٩٣ ، ٣٠٠ – ٣٠٢ ، ٣١٦ ، ٣٢١ .

(٣) ينظر: عذراء سنجار: ٣٩٧ – ٤١٧ .

الخاتمة

بعد استقراء نماذج مختارة من الروايات التي اتخذت من داعش الإرهابي ثيمة أساسية لها توصل البحث إلى النتائج الآتية:

- تعد ثيمة العنف والإرهاب ، وثيمة المرأة ، وثيمة الهوية من المهيمنات الثيماتية في الروايات عينة الدراسة .

- (مدينة الموصل) وقضاء (سنجار) يشكلان المكان المشترك بين كل الروايات .

- اتخذت معظم الروايات من الفتاة الأيزيدية المخطوفة الفكرة الرئيسة التي تدور حولها الأحداث .

- كان لثيمة اغتيال الهوية الحضارية للبلد عبر هدم الآثار حضور واضح ومهيمن في الروايات .

- لم تركز الروايات كثيراً على محنة المسيحيين في الموصل الذين عانوا النزوح والتهجير القسري بسبب انشغالها بتناول الإبادة التي تعرض لها المكون الأيزيدي.

- شكلت العتبات النصية لاسيما العنوان والاستهلالات الاقتباسية موجهاً دلالياً لثيمة الرواية .

- تعد اللغة الشعرية ، والرمز ، والسردية الغنائية ، و الحوار ، و(التعالق النصي) والانفتاح على فضاء الحلم والخطابات الأخرى لاسيما الوثائق والصور ومواقع التواصل الاجتماعي، والتوازي المكاني والزماني ، والتاريخ ، وتعددية السرد ، والأسلوب الغرائبي (الواقعية السحرية) من التقنيات الفنية المهيمنة في الروايات .

* * *

المصادر والمراجع

- الروايات:

- حراس البوابة ، منذر المدفعي ، دار النخبة ، الجيزة – مصر ، ط١ ، ١٤٣٨هـ- ٢٠١٧ .

- رقصة الجديلة والنهر، وفاء عبدالرزاق ، مؤسسة المثقف العربي ، سيدني/استراليا ، نشر وتوزيع العارف للمطبوعات، بيروت-لبنان ،العراق –النجف الاشرف، ط١ ، ٢٠١٥ .

- شتات نينوى ، غادة صديق رسول ، دار الفارابي ، بيروت-لبنان ، ط١ ، حزيران ٢٠١٦ .

- شظايا فيروز ، نوزت شمدين ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت –لبنان ، طبعة جديدة ومنقحة ٢٠١٧ .

- عذراء سنجار ، وارد بدر السالم ، دار شنكال للنشر والتوزيع ، دهوك- العراق ، ط٢ ، ٢٠١٦ .

- وشم الطائر ، دنيا ميخائيل ، دار الرافدين ، بيروت – بغداد ، ط١ ، ٢٠٢٠ .

- الكتب:

- أنماط الرواية العربية الجديدة ، د. شكري عزيز الماضي ، عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت، رمضان ١٤٢٩ – سبتمبر ٢٠٠٨ .

- البنى السردية ، دراسات تطبيقية في القصة القصيرة الأردنية ، عبد الله رضوان ، منشورات رابطة الكتاب الأردنيين ، ط١ ، ١٩٩٥ .

- سحر الموضوع عن النقد الموضوعاتي في الرواية والشعر، د . حميد لحمداني، مطبعة آنفو، فاس - المغرب، ط ٢، ٢٠١٤ م .

- الفرمان الأخير داعش والإبادة الجماعية للأيزيديين ، إعداد: حسو هورمي ، تقديم ومراجعة: سعد سلوم ، مؤسسة مسارات للتنمية الثقافية والاعلامية ،بيروت- بغداد ، دار الرافدين ، لبنان-بيروت ، ط١ ،لبنان/كندا ، ٢٠١٥ .

- في نظرية الأدب ، د. شكري عزيز الماضي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت - لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٥

- اللغة والهوية في الوطن العربي إشكاليات تاريخية وثقافية وسياسية ، مجموعة مؤلفين ، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ، بيروت ، ط١ ، كانون الثاني /يناير،٢٠١٣ .

- معجم مصطلحات نقد الرواية عربي - انكليزي - فرنسي ، د. لطيف زيتوني ، مكتبة لبنان ناشرون ، دار النهار للنشر ، بيروت- لبنان ، ط١، ٢٠٠٢ .

- النقد الموضوعاتي ، الدكتور سعيد علوش ، منشورات شركة بابل للنشر والطباعة ، الرباط – المغرب ، ١٩٨٩.

- البحوث :

- أثر الارهاب في الكتابة الروائية ، مخلوف عامر ، مجلة عالم الفكر ، تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – دولة الكويت ، ع ١ ، مجلد ٢٨، يوليو /سبتمبر ١٩٩٩.

- الثور المجنح في الحضارة الآشورية قراءة سيميائية ، د. حيدر فاضل عباس ، مجلة الباحث الإعلامي ، جامعة بغداد – كلية الإعلام ، ، ع ٣٣- ٣٤ ، ٢٠١٦.

- المواقع الالكترونية:

- (داعش) دمر التاريخ في الموصل / العربية- الحدث ٢٠١٤/٩/٤.

تاريخ الدخول : ٢٠٢٣/٨/٢ https://www.alarabiya.net/arab-and-world/iraq.

- الكاتبة العراقية وفاء عبد الرزاق : الرواية العراقية بعد سنة ٢٠٠٣ صارت لها هوية جديدة من واقع المعاناة والقهر وشرور داعش ، حوار أجراه: حميد عقبي ، صحيفة رأي اليوم ، صحيفة عربية مستقلة https://www.raialyoum.com تاريخ الدخول ٢٠٢٣/٧/٢٨.

- المقاربة الموضوعاتية في النقد الأدبي ، د. جميل حمداوي ، مجلة ندوة الالكترونية للشعر المترجم https://www.arabicnadwah.com/articles/muqaraba-hamadaoui.htm تاريخ الدخول ٢٠٢٣/٧/٢٠.

- https://ar.irakipedia.org تاريخ الدخول ٢٠٢٣/٨/٣.

* * *